مجلة البيان – العدد 37 ، رمضان 1411هـ / مارس 1991م

الافتتاحية

الشرق والغرب

ليس هناك منطقة في العالم تعرضت للغزو ورد الغزو، وقامت على أرضها حروب ومعارك كالمنطقة العربية، أو ما يسمونه في لغة الـغـرب (الشرق الأوسط)، إنها التفاحة التي تغري الآخرين بقطفها ، فـهـي دائماً في نـظـر هؤلاء بلاد (السمن والعسل)، جاءها الإسكندر من الـغـرب ، وجـاءهـا هولاكو من الشرق ، وذهـب الغازيان وبقيت المنطقة محتفظة بهويتها وثقافـتها، هكذا قدر لها، وهكذا ينظر إليها الـغـرب ،كما يؤكد تقرير صادر عن مجموعة الـعـمـل الـخـاصة بالـشـرق الأوسـط التابعة للمجلس الأطلسي حينما عبر عن لا (الأهمية العظمى)، للشرق الأوسط. (1).

لقد كنا نحاذر أن تقع هذه الحرب التي أعقبت أزمة الخليج، وكنا نتمنى ألا تقع، لأنها ستترك جرحاً ليسر من السهل برؤه في المدى القريب،ولكن ستبقى هوية المنطقة (الإسلام)، وستبقى أصالة المنطقة.

لقد تذكرنا في هذه الأيام قول أحد شعراء الإنكليز المشهورين (الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا)، هذه المقولة التي حاول كثير من الكتاب في الشرق والغرب أن يثبت عكسها، ولكنها الحقيقة التي تثبت نفسها مع الأيام ، فطبيعة الثقافة الغربية التي يرضعها الطفل من المنزل والمدرسة والمجتمع تختلف جذرياً عن طبيعة الثقافة الإسلامية، فالغربي الذي يعطف على الحيوان ، وفي الوقت نفسه يخرب البلدان إنما يعبر عن ثقافته ، وليس من باب التمثيل أن يعطف على الحيوان لإظهار رقته ورحمته ، ولكنها الثقافة الغربية، ومن النماذج الواضحة في

ذلك ما يروى أن جندياً إنكليزياً كان يصوب بندقيته على مواطن كيني ، فما كان من هذا الكيني إلا أن هجم وعض الإنكليزي فاستغرب الأخير هذا التصرف والتفت إلى زميل له وقال له : انظر إلى هذا المتوحش... .

كان أجدادنا على علم بعقلية الأوروبيين وطريقة تصرفهم ، فعندما كتب مسلمو الأندلس معاهدة مع ملك أسبانيا يؤمنهم على أموالهم وأعراضهم ، وحرية تدينهم قام فيهم القائد العربي موسى بن أبي الغسان وقال : »يا قوم لا تغشوا أنفسكم، ولا تتسلوا بالمحال ، ولا تظنوا أن ملوك النصارى وافون بمواعيدهم لكم، فوالله إن الموت الأحمر هو أهون مما نتوقع ، وإنما نحن مستقبلون أمراً أيسره اكتساح الأوطان وفضيحة العيال وانتهاب الأموال وقلب المساجد«.

كـمـا يـعـبـر عن هـذه الحقيقة المستشرق النمساوي الذي اعتنق الإسلام محمد أسد، عندما قال: »قد لا تقبل أوربا تعاليم الفلسفة (البوذية)، أو

(الهندوكية)، ولكنها تحتفظ دائماً فيما يـتـعـلـق بهذيـن المذهبين بموقف عقلي متزن ومبني على التفكير، إلا أنها عندما نتجه إلى الإسلام يختل التوازن ، ويأخذ الميل العاطفي في التسرب..«(2) .
ويـقـول غـوسـتـاف لوبون: »لقد تجمعت العقد الموروثة، عقد التعصب التي ندين بها ضد الإسلام ورجاله، وتراكمت خلال قرون سحيقة حتى أصبحت ضمن تركيبنا العضوي«(3).
إن الـغـرب وهـو في نـشـوة انـتـصاره لا يتنبه إلى قوانين التاريخ الصارمة، إنه لا يستطيع العيش طويلاً وهو يجـتـرح الأزمات ويمتص خيرات الشعوب ، وله عبرة في الامبراطورية الـروسـيـة، التي أضعفت الدولة العثمانية ثم بدأت تلتهم الأقاليم الإسلامية في آسيا، ثم جـاءها الـعـقــاب الـخـفـي، وجـدت نفـسها فجأة خاوية على عروشها، تستجدي المعونة الاقتصادية، وهكذا علمت روسيا وسيعلم الغرب أن الظلم مرتعه وخيم.

الهوامش :

1- وثائق 17/119 الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
2- محمد البهي / الفكر الإسلامي ص 189.
3- مالك بن نبي / وجهة العالم الإسلامي ص 28.

وقفة البوطي مع ابن تيمية

عبد القادر حامد

لا تـقـل: كـيـف يكون هـذا؟ وكـيف يستوقف البوطي ابن تيمية؟ فهكذا كان! افترض أنه استوقفه! ولكن هل وقـف، رحمه الله، وهل أصاخ لتحرشات البوطي بعد ستمائة وثمانين سـنـــة مـن وفـاتـه، لقد تُحرِّش به كثيراً في حياته وبعد مماته إلى الآن، ولم يهادن، ولم ينحن، بل هاهو ما يزال يزداد على التحرشات سطوعاً وانتشاراً. لـقـد تـعـاوره نـاس مـن طبقات شتى، وناشته أسلحة عمالقة وأقزام ، كلهم يحاول جهده ، ويجرب حظه! ولكن أين هؤلاء ، ومن يذكرهم؟! ومن يقرأ لهم؟ نحن نجيب : لا يقرأ لهم - في الأغلب - إلا من يريد أن يجرب حظه مع ابن تيمية من جديد، ليجرد عليه أسلحة ثبت أنها إما كليلة أو فليلة.
مجلدات ، رسائل مجردة، فتاوى، قصائد، ترجمات.. كلها ساهمت في هذه الملحمة التي بـدأت في حـيـاة ابن تـيـمـيـة ولمّا تنته بعد: أهواء يختلط فيها الحسد والغيرة، بالتصوف الأعجمي، بالعداء للسنة، بالحقـد على الصحابة، بالحرص على المنصب، بحب الظهور عـنـد جـهـة مـدخـولـة العقـيـدة، بالشعوبية المبنية على كره كل ما هو عربي، بالتعصب للمذاهب والأشخاص ، بكثير مما يصعب حصره من الدوافع التي تظهر خطوطها في كلام أصحابها

بادية للعيان ، أو تلك التي تتوارى وتتدارى وتتلفف وتتدثر، ولكن تدل عليها رائـحـتها وفـحـيـحـها من وراء الكلمات. كل ذلك وأكثر منه قد أُرصِد ويُرصَدُ كي يخفت صوت ابن تيمية، ويسدل الستار على المنهج الذي نصب له جهده وحياته. ولكن هل نجح ذلك الإرصاد في خفت صوته وتغييب منهجه؟ ما أحرى ابن تيمية بمعنى قول المتنبي:

كم قد قتلتُ وكم قد مـتُّ عـنـدكـم ثم انتفـضـتُ فزال القبر والكفن

قـد كـان شـاهـد دفـنـي قبل قولهم جماعة، ثم ماتوا قبل من دفنوا

هذا أمر ومنهج قد استتب ، وهو إلى قوة وانتشار بحمد الله ومنه وكرمه.

إننا لا ندافع عن ابن تيمية ، فابن تيمية يدافع عن نفسه بأسلوبه ، وعلى الرغم من ضياع كـثـير ممـا كـتـب، فـيـما بـقي من تراثه كفاء خصومه، وإذا أشرنا إلى فقرات من آرائه في مـؤلـفـاتـه، فهذا لـيس تعبيراً عن تعصب للرجل، بل إنصافاً للحق المجرد الذي نؤمن به وندين الله عليه، فإذا أحبه محبوه فللحق الذي ينافح عنه، وإذا تحامل عليه من تحامل فللباطل الذي يمدون إليه بسبب أو أكثر.

كـمـا لا نـظـن بابن تيميه العصمة، فهو بشر يصيب ويخطئ، ولكن المناقشة العلمية شيء، والتحامل الصارخ ، والتشفي العاري شيء آخر.

لا زال مغروساً في ذاكرتي ذلك الموقف الذي كنت عاجزاً عن فهمه وتحليله يوم حدث ، وذلك أني كنت طالباً في كلية الشريعة في دمشق ، وكانت مقررة علينا مادة سموها : الفقه المقارن ، وكان تدريسها مسنداً للدكتور الذي نناقش بعض ما جاء في كتابه هذا، وكان صنف ورقات تحتوي عدة مسائل فقهية خلافية. وكان من بين هذه المسائل مسألة : الطلاق بلفظ الثلاث ، هل يقع ثلاثا أم واحدة ، وهي مسألة مشهورة، وابن تيميه يخالف في هذه المسألة المفتى به عند الفقهاء، وطبيعي أن الشيخ البوطي ينصر رأي الفقهاء ولا لوم عليه في ذلك، لكن الذي استوقفني في ذلك الوقت أمران :

1- وضع الأدلة وسياقها كما ناقشها البوطي حتى ننتهي إلى ما انتهينا إليه من تأييد رأي الجمهور، فعلى الرغم من الجهد الواضح والحشد وكثرة الأقوال ، إلا أنه ظل في أعماق النفس شيء من هذه الاستدلالات وطريقة عرضها.

2- الصورة التي عرض البوطي علينا المسألة فيها.

فلا أزال أذكر أنه عندما عرض الأدلة وبدأ يناقشها تغيرت صورته التي أعرفها أنا على الأقل ، فارتفعت لهجته واحتدت ، وهذه الحدة كانت ترافق عرض الحجج التي يعتمدها ابن تيمية، بل كنت أحس أن الشيخ - وهو الهادئ الرزين في نظري -كان يتهيأ للنهوض عن كرسيه بغضب ظاهر ليدفع خصماً أمامه لم يبق له معه كلام ، ولا بد من اللجوء إلى لغة الدفع باليد ، بعد عجز لغة الحجة والبرهان. طبعاً لم يخلف هذا الموقف في نفسي شيئاً نحو الشيخ حتى عندما سعر الحرب بينه وبين خصومه الذين يحرص على نعتهم بأقبح الصفات ، لم

تكن هذه الحروب من اهتماماتي ، فلم أتابع ما قال كل طرف في الآخر. حتى قرأت له هذا الكتاب ، فعجبت أن يكتبه دكتور سلخ مدة ليست بالقصيرة من عمره يدرس ويحاضر ويؤلف.
هل النضج يؤدي إلى هذه النتيجة؟ أم هي فـتـنـة يـفـتن بها الشيخ بعد هذا العمر؟ أم هذا ديدنه في سائر إنتاجه؟
وبعد أن قرأت »وقفته مع ابن تيمية« أدركت تلك الصورة الغريبة، التي عجزت عن تفسيرها في ذلك الوقت المبكر، لأنني لم أكن قد اطلعت على شيء كاف مما كتب ابن تيمية ، تؤهلني لإدراك ما وراء الآكام.
تتجمع خصائص البوطي في التأليف والجدل ، وتحتشد على نحو بارز وطريف حينما يتصدى لابن تيمية (منبهاً إلى أخطاء وقع فيها ومعتذراً له!) ، وحتى يكون لتصديه هذا مؤيدون فلا بد من اللجوء إلى رمز له جمهوره ، وهكذا فما إن افتتح البوطي اللعبة التي سماها : »وقفة مع ابن تيمية« ، حتى دلف وألقى الرمز بين يدي جمهوره! هذا الرمز هو الغزالي..
والمجيء بالغزالي إلى هذا المعمعان حيلة يراها البوطي ناجحة، فلا بد من إثارة العواطف ، وهـذه لا تـثـور إلا بـنـدب وتـفـجـع وتوجع! ولا بد أن يكون موضوع هذا الندب والتفجع والـتـوجـع رمـزاً مـعـروفاً، ولعله يستخدم هذه الوسيلة تأثرً بالذين يستغلون حب المسلمين قـاطــبـة لآل الـبـيـت مـن أجـل الـوصـول إلى أهـداف أخرى. وهو الذي تحول بآخره إلى الاحتطاب بحبلهم!
وسبب آخر وهو تحويل المعركة من طرفين يشك الجمهور في تكافئهما؟
وهما: البوطي وابن تيمية، إلى طرفين قد يوجد من الناس من يقول بتكافئهما وهما: الغزالي وابن تيمية! والتبعة على البوطي ستكون أخف وأهون - أو هكذا يظن - إذا ما جعل هذين الإمامين يتصارعان وعندها قد يقف على مبعدة منهما يفرك يديه ضاحكاً قائلاً :

وكتيبةٍ لبستها بكتيبةٍ حتى إذا التبست نفضتُ لها يدي

يقول البوطي [ص 160]:

»ولكن ابن تيمية أنحى باللائمة- على الغزالي بسبب خوضه في تلك المصطلحات والمقاييس (مصطلحات ومقاييس الفلاسفة) واتهمه أكثر من مرة بما كان جديراً به أن يشكره عليه ، انطلاقاً من قراره الجازم بأن الاشتغال بعلم الكلام لإحقاق الحق الذي جاء به القرآن والسنة، عمل مبرور لا حرج فيه ولا مانع منه«. ويضع البوطي على طريقته في الإيهام والتلبيس في الحاشية ما يشير إلى أن مضمون ما قاله موجود في صفحة 184 من الجزء التاسع من مجموع فتاوى ابن تيمية.
ولكن - قبل أن نرجع إلى الموضوع المشار إليه - ما مضمون كلامه؟

إن مضمونه أن ابن تيمية :

1 - أنحى باللائمة على الغزالي بسبب خوضه في مصطلحات ومقاييس الفلاسفة.
2- اتهمه أكثر من مرة بما كان جديراً أن يشكره عليه!
ولكن ما هذا الذي كان يجب على ابن تيمية أن يشكر الغزالي عليه؟! لقد تركه البوطي مبهماً!
3- إن لابن تيمية قراراً جازماً لا مثنوية فيه بأن الاشتغال بعلم الكلام لإحقاق الحق الذي جاء به القرآن والسنة عمل مبرور لا حرج فيه ولا مانع منه.
نقول :
أما إن لابن تيمية كلاماً في الغزالي فـلا يـنـكـر ذلك أحد، وأما أن يكون هذا الكلام حقاً أو باطلاً في نفسه فهذا مـتـروك للـعـلماء ليقرروه ، وهو مباح لكل ناظر وباحث - لكن بشروط البحث والنظر - لـيـنـظـر فيه ويبحث عن وجه الحق فيما احتواه. ولكن غير المباح ، بل المـعـيب؟ أن تدعى دعاوى لا دليل عليها لمجرد تشويه السمعة والصد ليس إلا! وإذا كان البوطي غيوراً على من يحب - وهذا حقه - فاللائق به أن يجمع أطراف كلام ابن تيمية في الغزالي ، وأن يناقش ذلك مناقشة العلماء، وأن لا يقصقص أطراف النقول والاستشهادات حتى توافق هواه ، وتتفق مع ما في نفسه من دخن على ابن تيمية.
ولنعد إلى ص 184 من الجزء التاسع من مجموع الفتاوى.
يـتـكـلـم ابن تـيـمـية عن عيب نظار المسلمين طريق أهل المنطق، وبيانهم قصورها وعجزها، ورأيهم في المنطق جملة فيقول :
»ومازال نظار المسلمين يعيبون طريق أهل المنطق ، ويبينون ما فيها من العي واللكنة ، وقصور العقل وعجز النطق ؛ ويبينون أنها إلى إفساد المنطق العقلي واللساني أقرب منها إلى تقويم ذلك. ولا يرضون أن يسلكوها في نظرهم ومناظراتهم ، لا مع من يوالونه ولا مع من يعادونه.
وإنما كثر استعمالها في زمن »أبي حامد« ؛ فإنه أدخل مقدمة من المنطق اليوناني في أول كتابه »المستصفى« ، وزعم أنه لا يثق بعلمه (1) إلا من عرف هذا المنطق.
وصنف فيه »معيار العلم« و »محك النظر«؛ وصنف كتاباً سماه : »القسطاس المستقيم« ، ذكر فيه خمس موازين : الثلاث الحمليات؛ والشرطي المتصل ، والشرطي المنفصل. وغير عباراتها إلى أمثلة أخذها من كلام المسلمين ، وذكر أنه خاطب بذلك بعض أهل التعليم ، وصنف كتاباً في تهافتهم، وبين كفرهم بسبب مسألة قدم العالم ، وإنكار العلم بالجزئيات ، وإنكار المعاد وبين في آخر كتبه أن طريقهم فاسدة؛ لا توصل إلى يقين؟ وذمها أكثر مما ذم طريقة المتكلمين. وكان أولاً لا يذكر في كتبه كثيراً من كلامهم: إما بعبارتهم؟ وإما بعبارة أخـرى، ثـم في آخـر أمـره بـالغ في ذمهم؛ وبين أن طريقهم

متضمنة من الجهل والكفر ما يـوجـب ذمـها وفسادها أعظم من طريق المتكلمين؟ ومات وهو مشتغل بالبخاري ومسلم.
والمنطق الذي كان يقول فيه ما يقول؟ ما حصل له مقصوده ، ولا أزال عنه ما كان فيه من الشك والحيرة؛ ولم يغن عنه المنطق شيئاً.
ولكن بسبب ما وقع منه في أثناء عمره وغير ذلك ، صار كثير من النظار يدخلون المنطق اليوناني في علومهم ، حتى صار من يسلك طريق هؤلاء من المتأخرين يظن أنه لا طريق إلا هذا، وأن ما ادعوه من الحد والبرهان هو أمر صحيح مسلم عند العقلاء ، ولا يعلم أنه مازال العقلاء والفضلاء من المسلمين وغيرهم يعيبون ذلك ويطعنون فيه. وقد صنف نظار المسلمين في ذلك مصنفات متعددة، وجمهور المسلمين يعيبونه عيباً مجملاً لما يرونه من آثاره ولوازمه الدالة على ما في أهله مما يناقض العلم والإيمان ويفضي بهم الحال إلى أنواع من الجهل والكفر والضلال«. [مجموع الفتاوى 9/184 -185].
هذا ما جاء فيه ذكر الغزالي في هذا الموضع ، فهل فيه اتهامات؟ فقد قال ابن تيمية أن نظار المسلمين يعيبون طريق أهل المنطق ، وأن هذه الطريق كثر استعمالها منذ زمن الغزالي ، وأنه أدخل مقدمة من المنطق اليوناني في أول كتابه »المستصفى«، وزعم - أي الغزالي - أنه لا يوثق بعلم من لا يعرف المنطق، وصنف في المنطق كتباً مثل: »معيار العلم« و»محك النظر« ، وصنف أيضاً »القسطاس المستقيم« و »تهافت الفلاسفة«، فهل هذا كذب على الغزالي؟
وبين أن الغزالي بيَّن كفر الفلاسفة وأسبابه ، وكذلك ادعى على الغزالي أنه حكم بفساد طريق المعرفة على طريق الفلاسفة وادعى ذمه لطريق المتكلمين ؛ فهل هذه مجرد دعاوى لا دليل عليها، أم أن أدلتها مبثوثة في كتب الغزالي المعروفة؟
وكذلك ذكره التطور الذي حصل لأبي حامد وأنه مات وهو مشتغل بالبخاري ومسلم ، هل هذه دعوى غير صحيحة؟ أم أنها لوم وشيء معيب أن يسند للغزالي؟
هـل فـي قـول من قال في عالم من العلماء: إنه قال كذا، وفعل كذا وبيان أسباب ذلك ظلم لهذا العالم أو تهمة أو لوم؟
ثم ما معنى قولك :
»بل إن ابن تيمية -رحمه الله- ازداد حماسة في الهجوم على المنطق ومقاييسه واصطلاحاته ، حتى لكأن فرط الحماسة أنساه ما قد قرره بشأن علم الكلام ، وجواز الاستفادة من اصطلاحات المناطقة وأساليبهم في بيان الحق ، فأخذ يقرر بأن ما يعتمده النظار من أهل الكلام من الأدلة العقلية شيء لا حاجة إليه ولا موجب للاشتغال به ؛ فإن القرآن جاء بما يغني عنه«، [ص 160].

لماذا تغار على المنطق غيرتك على الغزالي حتى لكأنهما توأمان؟ ، وهل علم المنطق وعلم الكلام شيء واحد في نظرك؟ إن ابن تيمية لم يخرج عن ما قرره ، ولم يناقض نفسه -كما يحلو لك أن تثبت، وتقيم ما تسميه أنت أدلة على ذلك - فالموضع الذي تشير إليه على أن ابن تيمية تحدث فيه طويلاً في علم الكلام ، وحكم دراسته وممارسته والاحتجاج في مسائل العقائد الإسلامية به؛ وانتهى بحمد الله إلى أن ممارسته ليست بدعة، والاعتماد عليه في الدفاع عن العقائد الإسلامية ليس محرماً، إذا لم يقصد به الاستدلال بالأدلة الفاسدة أو تبني ما قد يكون من المقولات الباطنة!

نقول : هذا الفعل منك تحميل لكلام ابن تيمية ما لا يحتمل ، وعلى طريقتك في البتر والقصقصة والتشويه تستدل على ما تريده ، وتلوي كلام ابن تيمية عن مقصده ، متوهماً أنك بهذا البتر والتشويه تصير كلامه ملائماً لهواك.

ولكن هيهات! فأي عاقل يقرأ كلام ابن تيمية في سياقه التام يكتشف استهانة وتلاعباً بالنصوص لا يليقان بطلبة العلم فضلاً عن الذين نصبوا أنفسهم للتدريس والإرشاد.

ولو وضعنا - هنا - الكلام الذي يحيل على شذراته ؛ بتمامه ؛ لطال الموضوع ، ولأمللنا القارئ، فليرجع من يشاء إلى ذلك الموضوع من مجموع الفتاوى 9/293 - 327، وليقرأ كلاماً كانت له روح هناك ، فجاء البوطي وانتزع روحه ، وجعله عضين ، وقدمه على أنه هو الذي يقول به ابن تيمية!

والغريب أنه لا يفطن لهذا التشويه ؛ فيبني عليه ، أو يستنتج منه آراء شائهة من مثل قوله : »فإن أحداً منهم لم يتبن المضامين الباطلة للفلاسفة والمناطقة اليونانيين« [ص 159].

وقوله : »وقد انعكس هذا الاضطراب في كلام ابن تيمية على أذهان كثير ممن يقرءون له بسطحية ودون صبر أو استيعاب« [ص 61]، ففي كلامه هذا أمور:

1- وصف لكلام ابن تيمية بالاضطراب.

2- انعكاس هذا الاضطراب على أذهان كثير ممن يقرءون لابن تيمية بسطحية ودون صبر أو استيعاب ، وهذه العبارة ملتوية أشد الالتواء، وبيان ذلك أن وصف كلام ابن تيمية بالاضطراب تركه البوطي معلقاً، حتى إذا قال له قائل : يا شيخ ، كثير عليك أن تحكم على كل كلام ابن تيمية بالاضطراب ، لربما قال : لا، أنا لا أقصد جميع كلامه؟ وإنما أصف بالاضطراب هذه الفقرة التي نقلتها من الجزء التاسع ص 225 من مجموع الفتاوى! فيقال له : حتى على هذه النية، أين الاضطراب في هذا الكلام؟ وهل هذه الفقرة وحدها كافية لبلبلة أفكار من يحكم عليهم البوطي هذا الحكم الجائر؟ فإن كان كلام ابن تيمية مضطرباً كله فهو يعني قراءه ، وأنت منهم! إلا أن تحصن ذهنك من الاضطراب بالابتعاد عنه ، والفرار منه فرارك من مجذوم! وياليتك فعلت هذا؟ إذن لكفيت واستكفيت ، ولكن ها أنت من قراء ابن تيمية! لكن استغفر

الله، فقد كدنا ننسى ما قلت ، فأنت من القلة القليلة التي أفادها مفهوم كلامك السابق، والتي تقرأ له بعمق وصبر واستيعاب!، فالحمد لله الذي عصمك - عند نفسك - من الاضطراب!

مثال من المبالغة والتحدي الفارغ :

قـد يظن ظـان أن هـجـوم الـبـوطـي على ابن تيمية، واسـتـظـهاره بالغزالي آت من دراسة مستفيضة لعلم الرجلين ، ومن تعمق فيما كتبا، ثم من تبيُّن عادل لما كتبه ابن تيمية حول الـغزالي ؛ أو حول المسائل العلمية التي تعرض لها، ومن توصل إلى أن وجه الحق في هذه المسائل كان إلى جانب الغزالي ...

والحق أن كل ذلك لم يكن - وسوف نبرهن على ذلك - وإنما الذي كان أن البوطي سمع من المتعصبين مثله أن ابن تيمية عاب على الغزالي، وهو بنظر هؤلاء (قدس الأقداس) الذي لا يُمس ولا يُنتقد.

ومن جهة ثانية يريد البوطي أن يجعل هذه المشكلة - انتقاد ابن تيمية للغزالي - سلاحاً من الأسلحة التي يرمي ابن تيمية بها، لعله يصيب منه مقتلاً بعد أن تيقن أن علمه وآراءه لـم تـمـت، وأنـه لا زال حياً على الرغم من قول متعصب شعوبي حاقد من المتأخرين (2) فيه: »وحيث لم يكن له شيخ يرشده في العلوم النظرية أصبح علمه لا يرتكن على شيء وثيق خليطاً كثير التناقض ، توزعت مواهبه في أهواء متعبة، ثم أفضى إلى ما عمل وزالت فتنته برد العلماء عليه«.

ولا شك أن البوطي قد مر بهذه العبارة المظلمة، ولا ندري هل أمَّن عليها؟ أم أشاح عنها وجهه لقبحها وعفونة رائحتها؟! إن كان أمَّن عليها فقد أمَّن على كذب ، إن كان أشاح عنها ، فمضمون كلامه عن ابن تيمية مخالفة عملية لهذه الإشاحة!

وحتى نقيم الدليل على مجازفات البوطي ننقل فقرة من فقر كتابه تدلك على ما حكمنا به عليه من قلة التعمق والتبين التي سببها العجلة أو الهوى أو كلاهما، يقول عن الغزالي:

»... وأمـا أنه قد انطـلى عليه شيء مـن أوهـامهم أو انزلق إلى أي من الباطل الذي ضلوا في أوديـتـه ، فـهـذا ما شهدت الدنـيـا كلها بنقيضه ، بل شهد بنقيض ذلك ابن تيمية نفسه (سـبـحـان الله) ، ومـا عـرف تـاريخ الفلسفة رجلاً مزق الأوهام الفلسفية بمباضع المقاييس الفلسفية ذاتها (هذه استعارة مكنية!) ، وانتصر للحق الذي دل عليه كتاب الله عز وجل، بالاصطلاحات الفلسفية نفسها كالإمام الغزالي« [ص163].

ليس ابن تيمية وحده من ينقض أمثال هذه الفقرة التهويلية التي جادت بها قريحة الشيخ البوطي ، بل هو عندما يشير إلى أن الغزالي تأثر بأساليب الفلاسفة ينقل كلام العلماء قبله من جهة، ويعتذر للغزالي من جهة أخرى ؛

لأنه لم يتيسر له العلم بالسنة، التي تعصم الإنسان من العدوى بطرق الفلاسفة وأساليبهم ، ومعروف أن الغزالي قال : »بضاعتي في الحديث مزجاة«، وكتبه - ومن أشهرها الإحياء - تشهد بذلك (ولا ندري أينكر البوطي ذلك؟!) ، وابن تيمية في نقده ينهج المنهج الأعدل ، فيبين أوهامه وأسبابها وعذره فيها، ويذكر ما له من محاسن ، ويذكر أقوال العلماء فيه فلا يقبل ما جاء به دون نقاش ، ولا يرد كل ما جاء به دون دليل ، يقول عن الغزالي : »ولكن كان هو وأمثاله -كما قدمت - مضطربين لا يثبتون على قول ثابت؛ لأن عندهم من الذكاء والطلب ما يتشوفون به إلى طريقة خاصة الخلق ، ولم يقدر لهم سلوك طريق خاصة هذه الأمة، الذين ورثوا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - العلم والإيمان ، وهم أهل حقائق الإيمان والقرآن ، - كما قدمناه - ، وأهل الفهم لكتاب الله والعلم ، والفهم لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وأتباع هذا العلم بالأحوال والأعمال المناسبة لذلك ، كما جاءت به الرسالة.

ولهذا كان الشيخ »أبو عمرو بن الصلاح« يقول - فيما رأيته بخطه - : »أبو حامد كثر القول فيه ومنه، فأما هذه الكتب (يعني المخالفة للحق) فلا يلتفت إليها ، وأما الرجل فيسكت عنه ، ويفوض أمره إلى الله«. ومقصوده : أنه لا يذكر بسوء، لأن عفو الله عن الناسي والمخطئ وتوبة المذنب تأتي على كل ذنب ، وذلك من أقرب الأشياء إلى هذا وأمثاله ، ولأن مغفرة الله بالحسنات منه ومن غيره ، وتكفيره الذنوب بالمصائب تأتي على محقق الذنوب ، فلا يقدم الإنسان على انتفاء ذلك في حق معين إلا ببصيرة، لاسيما مع كثرة الإحسان والعلم الصحيح ، والعمل الصالح والقصد الحسن. وهو يميل إلى الفلسفة، لكنه أظهرها في قالب التصوف والعبارات الإسلامية.

ولهذا: فقد رد عليه علماء المسلمين ، حتى أخص أصحابه أبو بكر بن العربي، فإنه قال : »شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر«. وقد حكي عنه من القول بمذاهب الباطنية ما يوجد تصديق ذلك في كتبه. ورد عليه أبو بكر الطرطوشي ، ورد عليه أبو الحسن المرغيناني ورفيقه ، رد عليه كلامه في مشكاة الأنوار ونحوه ، ورد عليه الشيخ أبو البيان ، والشيخ أبو عمرو ابن الصلاح ، وحذر من كلامه في ذلك هو وأبو زكريا النواوي وغيرهما ، ورد عليه ابن عقيل ، وابن الجوزي ، وأبو محمد المقدسي وغيرهم«. [مجموع الفتاوى 4/65-66].

ويقول عن كتابه الإحياء:

»و(الإحياء) فيه فوائد كثيرة ؛ لكن فيه مواد مذمومة ، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين. وقد أنكر أئمة

الدين على »أبي حامد« هذا في كتبه، وقالوا: مرضه (الشفاء) يعني شفاء ابن سينا في الفلسفة.
وفيه أحاديث وآثار ضعيفة ؛ بل موضوعة كثيرة. وفيه أشياء من أغاليظ الصوفية وترهاتهم. وفيه مع ذلك من كلام المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة، ما هو أكثر مما يرد منه ، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس وتنازعوا فيه«. [مجموع الفتاوى551/10-552].
وهكذا يتبين لنا من هاتين الفقرتين السابقتين حقيقة الدعوة العريضة من قول البوطي : »فهذا ما شهدت الدنيا كلها بنقيضه«! ياليته ذكر لنا أسماء من أهل هذه الدنيا! وقوله كذلك : »بل شهد بنقيض ذلك ابن تيمية نفسه«! فهلا ذكر الشيخ أين شهد ابن تيمية بنقيض ذلك؟! وما تبق من فقرة الشيخ فهو صراخ وحدة وتحدي »قبضايات« لا علماء.
على أننا نضع هنا بين يدي البوطي درساً في النقد يعلمناه ابن تيمية لعله ينتفع به ، فتهدأ نفسه وتعتدل ، ويضعه نصب عينيه إذا كتب في المستقبل معلماً ومرشداً وناقداً، إذن ، يكفر عن تحامله وأخطائه التي يقتحم فيها بدافع العجلة والهوى، ولا ريب عندنا وعند الشيخ أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.
يقول ابن تيمية في معرض ذكره شيئاً مما ينتقد على أبي ذر الروي واعتذاره له ، ولمن ينتقد عليه شيء من العلماء، وذكره ما هو معروف عنه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة ، وغير ذلك من المحاسن والفضائل :
»ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة ، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم ، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف ، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداءً من المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه ، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين ، وصار الناس بسبب ذلك : منهم من يعظمهم؛ لما لهم من المحاسن والفضائل ، ومنهم من يذمهم ، لما وقع في كلامهم من البدع والباطل ، وخيار الأمور أوساطها.
وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين ، والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات؟ ويتجاوز لهم عن السيئات ، ((رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْوَانِنَا الَذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ ولا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ)) [الحشر 10].
ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأخطأ في بعض ذلك فالله يغفر له خطأه ، تحقيقاً للدعاء الذي

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

استجابه لنبيه وللمؤمنين حيث قالوا: ((رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)) [البقرة 286].
ومن اتبع ظنه وهواه فأخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده ، وهو من البدع المخالفة للسنة، فإنه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه ، فقلّ من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين ، لكثرة الاشتباه والاضطراب ، وبعد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة الذي به يحصل الهدى والصواب ، ويزول به عن القلوب الشك والارتياب ، ولهذا تجد كثيراً من المتأخرين من علماء الطوائف يتناقضون في مثل هذه الأصول ولوازمها ، فيقولون القول الموافق للسنة، وينفون ما هو من لوازمه ، غير ظانين أنه من لوازمه ، وبقولون ما ينافيه ، غير ظانين أنه ينافيه ، ويقولون بملزومات القول المنافي الذي ينافي ما أثبتوه من السنة، وربما كفروا من خالفهم في القول المنافي وملزوماته ، فيكون مضمون قولهم : أن يقولوا قولاً ويكفروا من يقوله ، وهذا يوجد لكثير منهم في الحال الواحد لعدم تفطنه لتناقض القولين ، ويوجد في الحالين ، لاختلاف نظره واجتهاده.
وسبب ذلك ما أوقعه أهل الإلحاد والضلال من الألفاظ المجملة، التي يظن الظان أنه لا يدخل فيها إلا الحق ، وقد دخل فيها الحق والباطل ، فمن لم ينقب عنها أو يستفصل المتكلم بها - كما كان السلف والأئمة يفعلون - صار متناقضاً أو مبتدعاً ضالاً من حيث لا يشعر.
وكثير ممن تكلم بالألفاظ المجملة المبتدعة ، كلفظ الجسم والجوهر والعرض وحلول الحوادث ونحو ذلك ، كانوا يظنون أنهم ينصرون الإسلام بهذه الطريقة ، وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسوله ، فوقع منهم من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك ، وهذه حال أهل البدع كالخوارج وأمثالهم ، فإن البدعة لا تكون حقاً محضاً موافقاً للسنة، إذ لو كانت كذلك لم تخف على الناس ، ولكن تشتمل على حق وباطل ، فيكون صاحبها قد لبس الحق بالباطل : إما مخطئاً غالطاً، واما متعمداً لنفاق فيه وإلحاد. كما قال تعالى: ((لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ وفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)) [التوبة 47]. فأخبر أن المنافقين لو خرجوا في جيش المسلمين ما زادوهم إلا خبالاً، ولكانوا يسعون بينهم مسرعين ، يطلبون لهم الفتنة، وفي المؤمنين من يقبل منهم ويستجيب لهم : إما لظن مخطئ، أو لنوع من الهوى، أو لمجموعهما ؛ فإن المؤمن إنما يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه ، ولهذا جاء في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : »إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات«.

وقد أمر المؤمنين أن يقولوا في صلاتهم : ((اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ)) [الفاتحة 6-7]، فالمغضوب عليهم عرفوا الحق ولم يعملوا به ، والضالون عبدوا الله بلا علم. ولهذا نزه نبيه عن الأمرين بقوله : ((وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ومَا غَوَى)) [النجم 1-2]، وقال تعالى: ((واذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وإسْحَاقَ ويَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي والأَبْصَارِ)) [ص 45]. [درء تعارض العقل والعقل 2/102 - 105] .

صورة ابن تيمية كما رسمها البوطي :

إنه لشيء مؤسف لي أن أجمع خطوط صورة ابن تيمية كما رسمتها ريشة البوطي الصناع، وأبرزها للقراء؛ حى يطلعوا على هذا الفن الذي يضطلع به الرجل ويأخذ به نفسه، وبادئ ذي بدء فإني أهمس في أذن الشيخ البوطي همسة لعلها تفيده في دنياه، وهي أن في هذا العصر - عصر ثقافة التلفاز - قد شاع هذا النوع من الكتاب الذين يكتبون لهذا الجهاز، ويغذون برامجه بإنتاجهم، فيكتبون قصصاً وحكايات يستخدمها ويعتمدها منتجو هذه البرامج والمسلسلات.

وقد كشفت في تصوير الشيخ لابن تيمية - رحمه الله - ، هذه الموهبة النادرة في التصوير الذي يناسب أهداف أصحاب هذه المسلسلات ومن يقف وراءهم، وبخاصة إذا كانت مادتها تتعلق بشخصيات إسلامية تاريخية لها دور في البناء الاجتماعي والفكري والحضاري للمسلمين، فتراهم ينتقون من الكتابات أكثرها سطحية وتشويهاً، أو يتعاقدون مع »خياطي« الكتابة الذين يكتبون لا عن مبدأ أو عقيدة، خلا عقيدة الارتزاق (والشيخ البوطي ليس من هؤلاء)، فيسطون على الكتب والمراجع، ويقصون منها ما يناسب شروط العقد! ويفصلونه زياً على حسب الطلب ، صيفياً أو شتائياً، رجالياً أو نسائياً، طويلاً ضافياً فضفاضاً، أو قصيراً ممسوخاً، كاسياً عارياً، أو منتعلاً حافياً، وهكذا.. وابن تيمية من هذه الشخصيات التي تعتبر موضوعاً غنياً لكتاب المسلسلات هؤلاء، والنفس المستفاد مما صوره به البوطي نفس هؤلاء الكتاب: دعاوى عريضة، وتشويه مقصود، وهوى غلاب والعياذ بالله.

هذه أمثلة مما جادت به قريحة الشيخ في تصوير ابن تيمية :

اللوحة الأولى :

هذه مائدة الفلسفة مفروشة، مصفوفة أطباقها - بتنسيق وترتيب جميل ، وقد أعدت وجهزت حتى يرتادها الناس ، كل الناس ، وفجأة يدخل صبي صغير طائش ، وإن شئت فرجل أخرق مجنون يذود الناس يميناً وشمالاً عن هذه المائدة، يريد أن يختص بها لنفسه فقط، لا يستفيد منها، بل »ليعثو (3) بأطباقها كما يحب«، تكسيراً وتحطيماً وتخليطاً، يضع من هذا الطعام على

ذاك، دون مراعاة للأذواق أو المراسم! وهو بين هذا وذاك «يصيح في كل من حوله»(4)!!
هـذه صـورة ابن تـيـمـية عند هذا الرجل الداعية الذي يحترم العلم والعلماء! أليس هذا ما ينطق به كلامه التالي :
«أمـا الـثاني (أي ابن تيمية) فقد تربى على مائدة الفلسفة يتناول منها ويعثو بأطباقها كما يحب، ويصيح في كل من حوله! يطردهم عن المائدة، ويحذرهم من أن يذوقوا منها مذاقاً، لأن كل ما عليها طعام آسن ضار غير مفيد!!» [ص 163].
صــورة طـريـفة مع أنها مزعجة، وبخاصة عندما يختلط صراخ ابن تيمية - رحمه الله - بـصـوت الأطباق التي ينهال عليها تكسيراً وتفتيتاً. وقديماً قيل : أعذب الشعر أكذبه!

ولوحة ثانية :

هذا ابن تـيـمـية قـد طـوح بـنـفـسه في بحر الفلسفة، وتعرض لما لا يحسن أن يـتعرض له، وخـدعـتـه نـفـسه حين ظن أنه قادر على السباحة في هذا البحر، والسلامة من أخـطـاره، فها هـو يـتطوح هكذا وهكذا مضطرباً تائهاً لا يدري كيف الخلاص، كشخص فقد دليله في مفازة مترامية الأطراف لا يدري أين طريق النجاة..
اقرأ قول البوطي بنصه التالي وتأمل :
«والـعـجـب الثاني ، أنه - وهـو المحذر من سـمـادير الفلاسفة وأوهامهم - لم ينج من هذه الأوهام والـسـمـادـر، بل أصابه بعض رشاشها ، بل أصابه بعض من أخطار رشاشها؟ ومع ذلك فهو لـم يـتـبـنها ويعتقد بها من منطلق التثبت العلمي الجازم ، ولكن تطوح في شأنها تطوح المضطرب ، وناقض نفسه في حديثه عنها مناقضة التائه وقع في مهمه لا يتبين سبيلاً للخلاص منه» [ص 163].
وبعد :
فإن هذا الأسلوب الذي يكتب به البوطي ابن تيمية يناقض ما جاء في حاشيته على (وقفته مع ابن تيمية) ص 158 والتي يقول فيها:
«ليس الهدف من عرض ما قد يؤخذ على ابن تيمية هنا، تفسيقه أو تبديعه، كما فعل بعض خـصـومـه، وإنما الـقـصـد أن ننبه إلى خطأ ما وقع فيه، ثم إلى التماس العذر له من خلال العثور على نصوص أخرى يناقض فيها نفسه في هذه النقاط التي أخذت عليه ..».
لــو أن الـبـوطـي فسق أو بدع لكان الخطب أهون والتبعة أخف محملاً على نفسه، إذا لا يعدو بعمله ذاك أن يكون كرر شيئاً قد قيل من قبل، ولم يأت بجديد، ولكن الشيخ البوطي يأبى إلا أن يبذ الأوائل ببدواته وإبداعه، فيسخر ويتشفى، ويتعالى ثم يتواضع، ويقدر ثم يعفو، ويدين المجرم بجرائمه الواضحة

، ثم - لفرط إنسانيته وفروسيته - يذهب ويفتش في حيثيات القضية، لعله يعثر على ما يجعله يتجاوز عن إنزال العقوبة الرادعة المستحقة. هذا ما تدل عليه حاشيته تلك التي تلح علينا بأن يكون لنا معها وقفة أخرى.
يتبع

الهوامش :

1- هكذا في مجموع الفتاوى ولعلها : لا يوثق بعلم.
2-زاهد الكوثري في مقدمته لكتاب »تبيين كذب المفتري« لابن عساكر.
3- يراجع معنى يعثو في لسان العرب. و (يعثو) هذه أخت (ينغصون) التي وصف بها الصحابة!
4- اقرن هذه العبارة بالعبارة الواردة في كتابه [ص 245] : (فصاح فيه أن يخرج..)! والتي أشرنا إليها في مجلة البيان العدد السابق (36) ص 14 وليُعلم أن هذه ليست عربية صحيحة ولا فصيحة ولا لائقة، بل هي - لسوء حظه وحظنا - لغة أزقَّة يزين بها الشيخ أسلوبه الراقي!

خواطر في الدعوة

وضوح الأهداف

محمد العبدة

اذا أردت لدعوتك أن تكون قوية مؤثرة تجمع عليها الناس، يؤيدونها ويناصرونها، فعليك أن تـكـون واضـحـاً في عـرضـهـا، واضـحـاً في عرض أهدافها، اذكر الحقيقة التي تؤمن بها ناصعةً وبصورة حاسمة، أما الغمغمة واتباع الطرق الملتوية ، فهذا سيبعد الطريق ولا يؤدي إلى الـغـرض المـطـلـوب، ومـعـنـى هـذا أن أفـراد الدعوة أنفسهم يجب أن يكونوا متشبعين بـفـهـمـهـا، وفـهـم أهـدافها ووسائلها، وإذا لم يكونوا كذلك فهناك التشويش والخلط بين المراحل الأولى والمراحل الأخيرة، الذي يؤدي إلى التعثر والتخبط.

لقد كنت الأهداف المرحلية واضحة تماماً في السيرة النبوية، كان دعاؤه - صلى الله عليه وسلم- مركزاً وواضحاً في البداية، دعوة الناس جميعاً إلى عبادة الله وحده ، وترك كل ما يعبد من دون الله من أصنام وطواغيت وأهواء وشهوات ، ثم انتقل إلى مرحلة البحث عن مكان آمن للدعوة وأهلها، وأن تكون منطلقاً للتمكين في الأرض.

فيسر الله له أهل يثرب، ودخلوا في دين الله وانتقلت الدعوة إلى الدولة، ثم انتقلت الدولة من مرحلة الجهاد الدفاعي إلى مرحلة الجهاد ، حتى يكون الدين كله لله.

إن هذا الوضوح والإصرار عليه جعل بعض العرب يعجبون بالدعوة وصاحبها، فإن الإصرار على الحق والدفاع عنه لا بد أن يوقظ الناس، وسيقولون لو لم يكن هذا الشيء حقاً لما دافع عنه الناس بهذه التضحية..

وهذا الإصرار يتلوه النجاح ، وهذا أيضاً من أسباب إقبال الناس عليه ، فإن الدعوة الحق لا بـد أن تـنـجـح ولو في بـعـض المراحل أو بعض الأحيان ((واللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ)) ، أما فشلها مرة بعد مرة، فهذا دليل على أن أفرادها لم يميزوا من المقصد والوسيلة، فيتسرعون حيث البطء أو يبطئون حيث يجب الاندفاع.

وفي هـذا الـعـصـر وجـد زعـمـاء من غير المسلمين وضعوا أهدافاً واضحة، واستخدموا وسائل واضحة، وقد وصلوا إلى كثير مما كانوا يؤملون ، يقول أحد هؤلاء الزعماء:

»لا يـمـكـن لـحـزب سـيـاسي أن يبقى على المسرح ويحقق النجاح إلا إذا كانت لديه أفكار ومعتقدات صلبة وخطة عمل واضحة« ونحن نقول أيضاً لا بد للعمل الإسلامي من خطة عمل واضحة.

مراجعات في عالم الكتب

رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر

إعداد : عادل الشدي

لاتزال المطابع تقذف لنا كل يوم بالجديد من الإصدارات، وطالب العلم حريّ به أن يكون لـه قـدر من المـتـابـعـة مما يطرح في الساحة يمكنه أن يعيش عصره ويفيد من علم الآخرين وتجاربهم. وبين يدي كتاب جديد بعنوان (رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر) للأسـتـاذ محمد قطب.

المقدمة :

تـحـدث فـيـها المـؤلـف عـن أهـمية تكوين رؤى مسـتقـلـة للأمة الإسلامية، وأن الرؤى لها منطلقات إيديولوجية ، وبناء على ذلك فتحديد الرؤية المتميزة مطلب شرعي.

الفصل الأول : الجاهلية المعاصرة :

ومهد له بتعريف للجاهلية وناقش من ينفي عن الجاهلية المعاصرة هذا الوصف.

ثم تحدث عن جذور الجاهلية المعاصرة وارتباطها بالجاهلية الرومانية والإغريقية ، وأنها استفادت من الأمة الإسلامية مع العلم: إرادة الحياة ، ومواجهة الظلم ، واحترام العقل الإنساني ، وعدم القداسة للبشر ، وقد كادت تدخل الإسلام لولا تشويه الكنيسة له. ثم تحدث عن خصائص الجاهلية

المعاصرة ، وأولها : إرث العقلانية عن الجاهلية الإغريقية والرومانية ، وثانيها : تحكيم العقل في التشريع الذي نشأ عنه التمرد على حق الله في التشريع وعلى حكمته. والخاصية الثالثة : تحكيم العقل في منهج الحياة ، ونجحت في ذلك لكنها أخفقت في الأهداف.
ثم تحدث عن السنن الربانية التي تحكم أوضاع الجاهلية المعاصرة ، وأجاب عن تمكينهم بأن ذلك لـهـوان الـدنـيا على الله، وأن من سنته تعالى الإملاء للظالمين، ولغياب الحق عن الـسـاحـة، وأخـيـراً فالـتمكين ليس بمجرد الكفر إنما بفعل الأسباب، ثم قارن بين تمكين الاستدراج وتمكين الرضا (الذي يكون للمؤمنين).

الفصل الثاني : السيطرة العالمية لليهود:

وابـتـدأ الـفـصـل بالإشــارة إلى أنهم لم يـعـودوا يخفون مخططاتهم. ثم تحدث عن العقدة اليهودية في احتقار الآخرين واسـتـعـبادهم. وأشــار إلى ثلاث نماذج من مكرهم (ما قام به بولس لإفساد النصرانية، ابن سبأ، إشاعة الفاحشة).
ثم تحدث عن السيطرة الحالية لليهود، وبيّن أنهم يستغلون الأحداث ولا يصنعونها،وبيّن كيف استغلوا ثلاث وسائل: الـثـورة الـفـرنسية وحطموا من خلالها سلطة الدين المتمثل في الكنيسة، ورجال الإقطاع ليحصلوا على الثراء. ثم استغلوا الثورة الصناعية التي أثروا من خلالها وحطموا القيم والأسرة والمجـتـمـع عـن طـريق تحرير المرأة. وأخيراً استغلوا الثورة الداروينية التي تقول بحيوانية الإنسان.
ثم أشار إلى أحوال اليهود بين الكتاب والسنة ، ووعد الله ووعيده ، وكيف أن الله مكنهم بحبل من الناس ، وعقوبة لهذه البشرية على كفرها، وأن هذا التمكين مؤقت لا تلبث الأمة المحمدية بعده إلا أن تعود إلى الشهادة والقوامة.

الفصل الثالث : أمة التوحيد بين الماضي والحاضر:

وفيه قال : إن كل الأمم داعية إلى التوحيد في الأصل، لكنهم لم يسيروا عليه ، كما سارت هذه الأمة. ثم قارن بين خيرية هذه الأمة وادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار، وأن هذه الخيرية ليست تعصباً عرقياً أو لجنس دون غيرهم ، وهي خيرية بحكم الله عز وجل. ولما كان دور هذه الأمة الشهادة والقوامة تطلب هذا الدور الضخم ضخامة الأساس والإعداد.
ثم أشار إلى بعض لمحات من التاريخ وهي :
1 - الهداية للتوحيد فما من أمة حافظت على التوحيد كهذه الأمة ، وكان من نتائجه : الإيمان باليوم الآخر ، وتحكيم الشريعة ، وأن عاشت الأمة لم تعرف الإقطاع ، وكانت أقل بلدان العالم جريمة.
2 - كان الإسلام ميلاداً جديداً للبشرية.

3 - كانت حركة التوسع الإسلامي حركة فريدة في التاريخ - مضموناً وأهدافاً - فحررت البشرية من الظلم ، وقام فيها تجمع فريد على أساس الإسلام ، رغم اختلاف الأجناس والألوان.
4 - قامت على يد هذه الأمة حركة علمية واسعة ، صححت أخطاء الإغريق واكتشفت المنهج التجريبي ، وقبل ذلك وأهم منه : قامت على أساس العقيدة.
5- قامت على يد هذه الأمة حركة حضارية ضخمة منبثقة من العقيدة ، دون تناقض أو تعارض أو خصام..
6- أن الإسلام قد أثر في جوانب كثيرة من حياة الأمة في اتجاه مغاير للبيئة ، فحول الذين اعتادوا الفوضى وعدم الانضباط إلى مجتمع منضبط بدءًا من الصف في الصلاة والمواقيت وانتهاء بالدعوة والحرب والسلم.
7- وأخيراً تحدث عن الواقع المعاصر لأمة التوحيد ، وبيَّن كيف انحسرت المفاهيم الإسلامية في حسّ الكثير من المسلمين إلى شعائر ومظاهر هامدة.

الفصل الرابع : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين :

وقد استعار هذا العنوان من كتاب لأبي الحسن الندوي ، وبيّن في هذا الفصل كيف أن العالم خسر كله بانحطاط المسلمين. ففقد النموذج الصحيح حين برزت أوربا (النموذج الفاسد) ، ولو بقيت الأمة على ما هي عليه لما برز النموذج الفاسد. ولقامت الثورة الصناعية في الأمة الإسلامية. وحينئذ تسلم من الربا الذي توصل الغرب من طريق إباحته إلى أن استقر عند الناس أن الدين يقف عائقاً عن التقدم. وهكذا كانت ستسلم من تحرير المرأة وما عاقب ذلك من فساد في القيم والعقائد والأخلاق.

توقعات المستقبل :

وتحدث في هذا الفصل عن سقوط الأنظمة الجاهلية الشرقية والغربية ، وإفلاس جميع النظم في تقديم ما يسعد الإنسان. وذكر أربعاً من نقاط الخلل تتصف بها الجاهلية المعاصرة والإسلام منها بريء. وأشار إلى أنه عندما نقول : إن المستقبل للإسلام ، فلا يعني إهمال الجهد والبذل. وركز في آخر المبحث على العناية بالتربية الجادة ، والشورى، والنظام ، وحذر في آخر الفصل من استدراج الإسلاميين ووقوعهم في شرك العلمانية والمهادنة معها..

سؤال وجواب

العلم قبل العمل

عبد العزيز القارئ

ما معنى قول الصحابي: »تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن«، ما المقصود بالإيمان هنا؟ وكيف يكون قبل تعلم القرآن؟

حملنا هذا السؤال إلى الدكتور عبد العزيز القارئ، الأستاذ المشارك في الجامعة الإسلامية، فأجاب مشكوراً :
روى الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال :
لـقـد عـشـنـا بـرهـة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها، وأوامرها وزواجرها، وما ينبغي أن يقـف عنده منها، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، لا يدري ما أمره وما زاجره، وما ينبغي أن يقـف عنده، ينثره نثر الدقل.
نفهم من هذا الخبر بعضاً من أهم معالم منهج الصحابة في تلقي الدين :
أولاً: لابد من التعلم قبل العمل ، فالعلم قبل القول والعمل ، هذه قاعدة أساسية في منهج السلف يكررها علماء هذا المنهج ويؤكدون عليها، وتجدها عنوانا بارزاً في صحيح البخاري. قد يقول قائل : هل نعطل العمل والدعوة والجهاد حتى نتعلم؟ التعلم نفسه عمل؛ إنه بداية الطريق ، ألم تسمع قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : »من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة« ، فماذا تريد غير الجنة؟ وبداية طريقها العلم ، أما إذا غلبتك العجلة ، فبدأت الدعوة والجهاد بغير علم ، فإننا نخشى عليك ألا تصل إلى الجنة، نقول هذا ونكرره في مناسبات كثيرة هذه منها، شفقة على أولئك الذين لم يفهموا المنهج الصحيح ، ولا يحاولون فهمه ، إنهم يتعبون الأمة، ولا يخدمون الدعوة، لماذا لا يتعلمون أولاً؟!.
ثانياً: في عملية التعليم : العقيدة (أولاً)، وهي التي عبر الصحابي عنها بالإيمان ، وهذا أمر واضح ، فالتصورات الأساسية إذا لم تكن صحيحة ، فكل ما سيبنى عليها سيلحق بها، هنا في هذا الحديث يرتب الصحابي على فهم الإيمان فَهمَ سائر أحكام الدين ، كما يرتب العكس على العكس. ثم إننا نتساءل؟ إذا لم تكن غاية المسلم هي معرفة الله وعبادته فما هي غـايـتـه؟ هـل هناك هـدف أغلى وأهـم من هذا للفرد والجماعة؟ إذا لم نعرف ربنا مـعـرفـة صـحـيـحـة فـمـا فائدة جهودنا المتراكمة؟ وإذا لم نعبده عبادة صحيحة، فما هي الحـكـمـة مـن جـهـادنـا؟ لماذا لـم يَفرَق بعض الدعاة إذا ذكرت صفات الله؟ لا يريدون أن يعرفوه؟! لماذا يخاف بعض الدعاة من تعليم الناس توحيد العبادة؟ بل قل : من تعلّمه؟! ألا يريدون أن يعبدوا ربهم؟!
أحسنهم حالاً من بدأ يتعلم القرآن ونسي الإيمان، أي ذهب يتعلم أحكام الدين في التشريع ونسي الأساس ، وهذا كله انحراف عن منهج الصحابة الذي تلقوه من النبي - صلى الله عليه وسلم-.

فكر

بين المفكر والمختص

د. عبد الكريم بكار
يـزداد تـشـعـب العلوم يوماً بعد يوم، ويصبح الفرع فروعاً، ويتولد من العلم الواحد علوم، وتـتـفـجـر المـعـرفـة نتيجة الأعداد الضخمة من المثقفين الذين يعملون في مجالات البحث العلمي، ونتيجة الوسائل الكثيرة المتاحة لهم، وعلى رأسها الحاسب الآلى.
وإلـى جـانـب هـذا فـإن الـعـلـم نـفـسـه صار يفرز مشكلات جديدة، يوصف كثر منها بأنه مصيري، ويتقدم الـعـلـم ويـزداد تـشـابـكـه مع العلوم السياسية والأخلاقية! مما دفعنا إلى تسليط الضوء على هذه القضية.

من هو المفكر؟

يمـكـن أن نـقـول بـإيـجـاز: إن المفكر هو من يملك رؤية نقدية ينقل من خلالها تناقضات مجتمعه ومشكلاته إلى حسِّ الناس وأعصابهم ، لتصبح إحدى مفردات همومهم اليومية، وهو بما يعرف من سنن الله تعالى في الأنفس والآفاق ، وبما يملك من رؤية شاملة فاحصة للواقع والتاريخ يتمتع بـ (حاسة الاستشعار عن بعد) ، فيرى ما لا يراه الناس ، فينذرهم ويوجههم نحو طريق الفلاح. وكثيراً ما تكون حياة المفكر قلقة ، بل قد يدفع حياته ثمناً لما يحمل من فكر، إذ أن المفكر كثيراً ما يكون سابقاً لمعاصريه ، وهذا يجعل إدراك أبعاد ما يـقـول غير متيسر لأكثرهم ، كما أن ما يحدثه من استبصار في مشكلات أمته يتعارض مع مصالح فئات في المجتمع، تقتات من وراء وجود تلك المشكلات، مما يثيرها عليه، ويجعله هدفاً لها. وقد يكون المفكر متخصصاً في أحد فروع العلم ، وقد لا يكون. وقليل أولئك الذين يتقنون تخصصاً ما ثم تكون لهم رؤية مجتمعية شاملة.
أما المختص فإنه يكون - في الغالب - متبحراً في علم من العلوم التطبيقية أو الإنـسـانـية، فهو لا يـصـدر عنه إلا ليعود إليه ، وكثيرًا ما يكون المختص فاقداً للوعي الاجتماعي، إذ إن الـتـخـصـصـات في حالة من التوسع المستمر، كما أن مشكلاتها في تزايد مستمر، ومهما بـذل الـمـرء من جهد بغية إتقان تخصصه وجد أن التراكم المعرفي يبعده عن غايته تـلـك، وهذا يقـتـضـي منه المزيد من الانهماك فيه ، والمزيد من البعد عن مشاكل الحياة اليومية، وبالتالي فهو يبتعد باستمرار عن الرؤية الشاملة.
وحياة المختص - في الغالب - أقرب إلى السلامة والاستقرار، لأن الفئات التي تنزعج من المفكرين تـتـخـذ من الاخـتـصـاصيين وسائل تساندها - ولو بصورة سلبية - في الوصول إلى مصالحها.
ويمكن أن يقال : إن المختص يشبه طبيباً في قافلة كبيرة، فهو لا يعرف الكثير عن أهداف المسيرة أو محطات التوقف ، إذ إن معالجة الأعداد الكبيرة من المرضى تستغرق كل وقته، أمـا الـمـفـكـر فـهـو قـائـد القافلة الذي عنده معرفة تامة بكل المشكلات الكبرى التي تواجه القافلة، كما أن مخطط السير

واضح لديه تماماً، وهذا في الغالب يجعله لا يتمكن من معرفة الـتـفـاصـيل الـدقـيقة لكل شؤون الرحلة، ولماذا يهتم بذلك وهناك المختصون الذين يعملون على علاجها وتسييرها.

التخصص ومشكلاته :

يـجـب الـقـول ابـتـداء أن مـجـالات الـتخـصـص آخذة في التفرغ يوماً بعد يوم، والباحثون يشعرون بضيق المجالات التي يعملون فيها وميلها إلى شدة التخصص ، وهذه الحال نفسها هي التي أدت إلى التراكم المعرفي الضخم الذي نراه اليوم،حتى إن بعض المولعين بالإحصاء يقولون : إن المعرفة تتضاعف فيما بين كل عشر سنوات إلى خمس عشرة سنة، وهذا كله ما كان ممكناً لولا التخصص الدقيق والدقيق جداً، لأنه وحده الذي يسعف في رفع سقف المعرفة، وهو وحده الذي أدى إلى وجود كل هذه الإنجازات التي نراها. والذين يحاولون إظهار أنهم على معرفة موسوعية يعرضون - في الغالب - معلومات ناقصة أو مزيفة ؛ لأن زمان المعرفة الموسوعية قد انتهى.
ولكن لابد هنا من القول : إن ما تم من إنجاز علمي ، وبذل في سبيله الغالي والنفيس ، إنما وجد من أجل خدمة الإنسان وتحقيق سعادته ، وعلى المختصين أن يتأكدوا من أن تلك الإنجازات حققت أهدافها، وظلت في مأمن من أن تستخدم لتدمير إنسانية الإنسان ، بل وجوده كله!!
ولنضرب لذلك مثالاً واحداً نجلو به ما نرمي إليه.
فقد كان من المعروف قبل الحرب العالمية الثانية أن العلماء الألمان قطعوا شوطاً بعيداً في محاولة استغلال المعرفة النظرية المتعلقة بالتركيب الداخلي للذرة، وكان من المسلم به أن هذه المحاولات ستسير في المجال العسكري ، وكان هناك خوف من أن تستغل الطاقة الهائلة التي تتولد عن انشطار الذرة في تدمير الإنسان على يد هتلر الزعيم النازي ، ومن ثم فإن مجموعة من العلماء الفارين من جحيم النازية إلى أمريكا طلبوا من الرئيس (روزفلت) رئيس أمريكا آنذاك تخصيص الأموال والوسائل اللازمة لإنتاج القنبلة الذرية قبل أن يتمكن العلماء الألمان من صنعها وجعلها في يد حاكم مثل هتلر يستخدمها في فرض قيم معادية للإنسانية، وكان في ظنهم أن حيازة أمريكا لها سوف يردع هتلر - فيما لو امتلكها - عن استخدامها. وتم ذلك في مدة قصيرة حين أجريت أول تجربة ذرية في عام 1945 في صـحـراء نـيـفـادا، ولـم تـمـض سـوى فـتـرة قصيرة حتى ألقيت أول قنبلة على (هيروشيما) في اليابان في الثامن من آب عام 1945 ، وأعقبتها بعد أيام قنبلة أخرى على (نغازاكي) مما عجل بالاستسلام النهائي لليابان.
وقـد كـان مـن رأي الـعـلـمـاء الـذيـن اخترعوا القنبلة الذرية أن تجرى تجربة دولية أمام مـندوبـين من مختلف بلاد العالم لإطلاعهم على مدى القوة

التدميرية للقنبلة، ويطلب من اليابان أن تستسلم على هذا الأساس، ولكن الحاكم السياسي لأمريكا آنذاك، وهو الرئيس (ترومان) كان له رأي آخر.
وتكفيراً عن الذنب أمـضـى كـثير من أولئك - ومنهم أينشتين - بقية عمرهم في الدعوة إلى السلام. ومن العسير على العلماء الـيـوم أن يتحكموا في كيفية استخدام علومهم وتطبيقاتها حيث إن الشركات والمؤسسات الكبرى هي التي تنفق على أبحاث العلماء في الغرب ، كما أن الـدولـة فـي المـعـسـكـر الشرقي ترعى العلماء وتنفق عليهم، مما يجعل إسقاط حقهم في التحكم فيها أمراً مسلماً به مسبقاً.
ولا تقف مشكلات التخصص المغلق عند هذا الحد، فقد وجد مثلاً أن بعض الأمم تولي ثقة للمـخـتـصـين والفـنـيـيـن ، وربما يحثونهم على القيام بتشكيل حكومة تسمى بالحكومة (التكنوقراطية)، أي حكومة الاختصاصيين، وقد خيب هؤلاء الآمال في كثير من الأحيان، لأنه ثبت أنهم ينظرون إلى المشكلات الكبرى بمنظور أضيق مما هو مطلوب ؛ لأن مهنتهم وتخصصهم الدقيق يغلب عليهم ، ومن ثم فإنهم عاجزون عن تأمل الأمور من منظور شامل. ومن هنا فإن المجتمع كثيراً ما يلجأ إلى السياسيين والشخصيات العامة لإصلاح ما أفسده المختصون.
إن في المجتمع حوارات داخلية غامضة ، لا يقف عليها إلا من خالط الناس في شرائحهم العديدة، ومن ثم يعجز غالباً المختصون عن قيادتهم وتحسس مشكلاتهم.
وقـد عـزلـت الـتـخـصصات المغلقة أصحابها عن طبيعتهم الإنسانية حين تحول العلم على أيديهم إلى مجموعة من الإجراءات التي تقتضي تدريباً وتعليماً مكثفاً، ومن ثم فإن المختص يتباعد تدريجياً عن رؤية الصورة الكلية للحياة، كما أن العلم وفق هذا المنهج يفقد وظيفة من أهم وظائفه، وهي فـقـه الـذات والـعـودة إلـيـهـا واستكناه أغوارها ((وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ)) [الذاريات:21]. ومن ثم فقد برز اتجاه يـدعـو إلى ضــرورة خـروج الـعـالــم من تخصصه إلى تخصصات أخرى قريبة منه تتكامل معه وتثريه ، كما نشأت دعوات للعلماء التطبيقيين أن يقرءوا في الدراسات الإنسانية، وأن يعايشوا المشكلات اليومية لمجتمعاتهم - ولو بمقدار - حتى يحدث التوازن في ثقافاتهم وشخصياتهم المجتمعية.
وهذه المشكلات هي مشكلات الباحث في العالم المتقدم مادياً، أما المختصون عندنا فلهم إلى جانب هذه المشكلات مشكلات أخرى من نوع آخر، حيث إن الباحثين في ميادين العلوم التطبيقية مازالوا إلى هذه اللحظة عند العلوم ، أما التطبيق فإن الأوضاع في العالم الإسلامي لا تساعد على التطبيق الصحيح ، ولذلك فإن من استطاع من الباحثين الهجرة إلى الغرب هاجر، ليجد هناك المجال الرحب لتطبيق النظريات التي توصل إليها، وليضاف إنتاجه بعد

ذلك للحضارة الغربية، ومن لم يستطع الهجرة توقف النمو العلمي لديه ، ثم تراجع ؛ لأن العلم لا ينمو إلا بالتجربة والتطبيق.
أما الباحثون في ميادين العلوم الإنسانية عامة فلهم مشكلة من نوع آخر ، حيث إن عدم تنظيم المعرفة لدينا بالشكل المناسب وانعدام التواصل بين الباحثين جعل كثيراً منا يجاهد في غير عدو، وذلك لأن البناء المعرفي أشبه شيء ببناء ذي طوابق ، مع فارق واحد هو أن العلماء كلما انتهوا من بناء طابق معرفي انتقلوا إليه وتركوا ما تحته فارغاً ليشكل أساس البناء ومنطلقاته ، وهذا هو التراكم المعرفي. والمشكلة أن كثيراً من الباحثين لدينا يرفضون الانتقال من الطابق الأول إلى ما فوقه ، إما لعدم إدراكهم لضرورة الانتقال ، وإما لعجزهم عنه ، وإما لعدم معرفتهم أن هناك طوابق أخرى فوقهم. وهذا ما نعنيه عند القول : إن المعرفة عند كثير من باحثينا تفقد صفة التراكم اليوم.
إن كثيراً ممن يملك أفضل العقول لدينا مشغولون بنشر كتب تراثية أو كتابة بحوث كتب خير منها من أكثر من قرن من الزمان ، وقد يعمل الواحد من سنوات في تحقيق كتاب مخطوط نقله مؤلفه عن كتاب مطبوع بين أيدينا، فما الحاجة إلى تكرار غير مفيد!! إن ما ينبغي العمل فيه في ميادين العلوم الإنسانية هو كل ما يمثل إضافة للذات ، أو يساعد في حل مشكلة واقعة أو متوقعة ، وما عدا ذلك فهو هدر لطاقات الأمة بأمس الحاجة إليها.
ولا يقف الأمر عند هذا، بل يتجاوزه إلى أن بعض المختصين يفني عمره في حفظ مسائل وقراءة أبواب لا يحتاج إليها الواقع المسلم في شيء ، ولو أنه التفت إلى واقعه ، ثم أعمل النظر فيما يحتاج إليه ذلك الواقع، من فقه، وفهم، وتفجير للنصوص ، وقراءة للتاريخ، لاستطاع عمل الكثير لهذه الأمة.
ومن هنا يرى بعض المفكرين أنه لا يمكن تنمية فقه الأولويات ، وفقه الموازنات في وضع حضاري شديد التعقيد ، إلا إذا امتلك المختصون رؤية شاملة، وعرفوا مواضع أقدامهم ، من خلال معرفة الواقع المعاش والواقع التاريخي ، ومن خلال الانفتاح على الأنشطة الحياتية المختلفة.

عقيدة

الشرك الأصغر تعريفه وأنواعه

عبد العزيز بن محمد عبد اللطيف

ان الـشرك بالله تـعـالى أعظم ذنب عصي الله به ، كما قال جل وعلا: ((إنَّ الــشِّـرْكَ لَـظُـلْــمٌ عَـظِـيـمٌ)) [لـقـمـان 13].
ولما سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- »عن أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك« رواه البخاري ومسلم.

ولذا فإن الشرك وحده لا يغفره الله تعالى ((إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ)) [النساء 48]، ومن ثم فهو محبط للأعمال الصالحة ((وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الأنعام 88].
ويقسم العلماء الشرك إلى قسمين ، أحدهما شرك أكبر ، وهو أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى.
والآخر هو الشرك الأصغر، وهو موضوع هذه المقالة، وهذا الشرك من الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى دراسة وافية، نظراً لخطورته وشدة وعيده ، حيث خافه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على صحابته - أكمل الأمة إيماناً - رضي الله عنهم - ولكثرة من وقع فيه من المسلمين ، فلا يكاد أحد ينجو منه إلا من عصم الله ، وأرجو من الله تعالى التوفيق في عرض هذا الموضوع المهم الخطير للأخوة القراء، وهو جهد مقل سعى في جمع كلام أهل العلم في هذا الموضوع من خلال العناصر التالية :

أولاً- تعريفه :

يمكن أن نعرف الشرك الأصغر بأنه هو : (ما أتى في النصوص أنه شرك ، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر) (1).
وهناك دلالات معينة يمكن اعتبارها ضوابط في تبيين الشرك الأصغر من الأكبر، منها: صريح النص عليه ، كقوله -صلى الله عليه وسلم- : »إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا : يا رسول الله ، وما الشرك الأصغر؟ قال : الرياء« رواه أحمد.
ومن الدلالات على الشرك الأصغر أن يأتي منكراً غير معرف ، فإن جاء معرفاً بـ "الـ" دل على أن المقصود به الشرك المخرج من الملة(2) ، ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- »إن الرقى والتمائم والتولة شرك« رواه أحمد وأبو داود.
ومن الدلالات أيضاً على الشرك الأصغر ما فهمه الصحابة من النص ، فالصحابة أعلم الأمة بمعاني نصوص الكتاب والسنة، ومثاله حديث "»الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكنَّ الله يذهبه بالتوكل«" رواه أحمد والترمذي.
فإن آخر الحديث على الصحيح هو من قول ابن مسعود -رضي الله عنه- ، ومعناه : وما منا إلا ويقع له شيء من التطير.
ومن ذلك حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- »من حلف بغير الله فقد أشرك« رواه الترمذي وحسنه ، فقد فسر ابن عباس -رضي الله عنه- أن الحلف بغير الله من الشرك الخفي والذي يعتبر شركاً أصغر.. فقد قال ابن عباس عن قوله تعالى: ((فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)) [البقرة 22]، »الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله ، وحياتك يافلان ، وحياتي..« رواه ابن أبي حاتم.

والشرك الخفي يعتبر شركاً أصغر ، حيث فسر الرسول -صلى الله عليه وسلم- الشرك الخفي بالرياء، والذي يعد شركاً أصغر، وإليك الدليل عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- مرفوعاً : »ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا : بلى! قال : الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل« رواه أحمد.
وعن شداد بن أوس قال : كنا نعد الرياء على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الشرك الأصغر« رواه الحكم وصححه (3).
ومن هذه الدلالات أن يفسر الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذا الشرك الذي جاء في نص بما يوضح أن المراد به ما دون الشرك الأكبر، ومن ذلك حديث معاوية الليثي مرفوعاً : »يكون الناس مجدبين فينزل الله عليهم رزقاً من رزقه ، فيصبحون مشركين ؛ يقولون : مطرنا بنوء كذا« رواه أحمد. فالمراد بهذا الشرك هو كفر النعمة ضد الشكر، وهو من الكفر الأصغر (العملي) ، لما أخرجه الشيخان من حديث زيد بن خالد -رضي الله عنه- قال : صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء (أي مطر) كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس ، فقال : »هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب«. وفي رواية لمسلم عن ابن عباس مرفوعاً : »أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا : هذه رحمة الله ، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا«.
ومن الشرك الأصغر ما يكون شركاً بحسب قائله ومقصده (4)، فمثلاً الحلف بغير الله تعالى - في حد ذاته - من الشرك الأصغر (شرك الألفاظ)، لكن إن قصد قائله تعظيم غير الله تعالى كتعظيم الله تعالى مثلاً، فهذا شرك أكبر.
ولا أنسى أن أشير إلى أن الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- قد عرف الشرك الأصغر بما يلي : »كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة« (5). ويبدو لي والله أعلم أن الحد السابق للشرك الأصغر أكثر دقة وانضباطاً من هذا الحد الذي لا يمكن تمييزه وحصره.

ثانيا: الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

إن الشرك الأكبر محكوم على صاحبه بالخروج من الإسلام في الدنيا، والتخليد في النار ، وتحريم الجنة في الآخرة، وأما الشرك الأصغر فهو بخلاف ذلك ، فلا يحكم على صاحبه بالكفر ولا الخروج من الإسلام ، ولا يخلد في النار.
كما أن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال ، بينما الأصغر يحبط العمل الذي قارنه .

وتبقى مسألة - هي محل خلاف - وهي هل الشرك الأصغر لا يغفر إلا بالتوبة كالأكبر أم هو مثل الكبائر تحت المشيئة الإلهية؟
هناك من العلماء من قال : إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة لعموم الآية : ((إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ)) ، لكن يدخل تحت الموازنة بخلاف الأكبر الذي يحبط كل الأعمال كما سبق ، فإن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة وإلا دخل النار (6).
وكأن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يميل إلى ذلك حيث يقول مثلاً : »وأعظم الذنوب عند الله الشرك به وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك من جليل ودقيق ، وخفي وجلي« (7).
ويقول بعبارة أصرح من السابقة : »وقد يقال : الشرك لا يغفر منه شيء لا أكبر ولا أصغر على مقتضى القرآن ، وإن كان صاحب الشرك [أي الأصغر] يموت مسلماً، لكن شركه لا يغفر له بل يعاقب عليه ، وإن دخل بعد ذلك الجنة« (8).
لكن يفهم من عبارات ابن القيم أن الشرك الأصغر تحت المشيئة، حيث يقول -رحمه الله- : »فأما نجاسة الشرك فهي نوعان : نجاسة مغلظة ونجاسة مخففة، فالمغلظة الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، فإن الله لا يغفر أن يشرك به ، والمخففة الشرك الأصغر كيسير الرياء« (9).
ومرة يقول : »الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه (10)« إلى أن يقول : »وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للمخلوق (11)«
وقد ذكر العلامة السعدي كلاماً مهماً في هذه المسألة، أنقل بعضه : »من لحظ إلى عموم الآية [يعني قوله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ))]، وأنه لم يخص شركاً دون شرك ، أدخل فيها الشرك الأصغر، وقال : إنه لا يغفر، بل لا بد أن يعذب صاحبه ؛ لأن من لم يغفر له لا بد أن يعاقب ، ولكن القائلين بهذا لا يحكمون بكفره ولا بخلوده في النار، وإنما يقولون : يعذب عذاباً بقدر شركه ، ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة. وأما من قال : إن الشرك الأصغر لا يدخل في الشرك المذكور في هذه الآية ، وإنما هو تحت المشيئة ، فإنهم يحتجون بقوله تعالى : ((إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ ومَأْوَاهُ النَّارُ)) [المائدة 72]، فيقولون : كما أنه بإجماع الأئمة أن الشرك الأصغر لا يدخل في تلك الآية، وكذلك لا يدخل في قوله تعالى: ((لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ)) [الزمر 165]؛ لأن العمل هنا مفرد مضاف ويشمل الأعمال كلها ، ولا يحبط الأعمال الصالحة كلها إلا الشرك الأكبر.
ويؤيد قولهم أن الموازنة واقعة بين الحسنات والسيئات التي هي دون الشرك الأكبر ؛ لأن الشرك الأكبر لا موازنة بينه وبين غيره ؛ فإنه لا يبقى معه عمل ينفع« (12).

ثالثاً : أمثلة الشرك الأصغر وصوره :

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

الشرك الأصغر قد يكون ظاهراً جلياً، وربما كان خفياً دقيقاً، كما أنه يكون في الإرادات والنيات ، ويكون في الأقوال والأفعال.
- فمن أمثلة هذا الشرك : التطير: وهو التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ ، والبقاع وغيرها، فنهى الشارع عن التطير وذم المتطيرين ، قال تعالى: ((أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ ولَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ)) [الأعراف:131].
وقال -صلى الله عليه وسلم- : »لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر « ، وعن ابن مسعود مرفوعاً : »الطيرة شرك« رواه أبو داود والترمذي.
إن التطير سوء ظن بالله تعالى، وتعلق بأسباب موهومة.. ومن ثم فإن التشاؤم إنما هو في نفس الشخص المتشائم لا في الشيء المتشائم منه ، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصده لا ما رآه وسمعه ، ولذا لما قال معاوية بن الحكم السلمي لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- : ومنا أناس يتطيرون. فقال : »ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم« رواه مسلم. لقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحب الفأل ويكره الطيرة، لأن الفأل الحسن إنما هو حسن ظن بالله تعالى، ودون تعلق للقلب بغير الله ، بل فيه من المصلحة والسرور وتقوية النفوس ، وموافقة الفطرة إلى ما يلائمها.
وقد جاءت الأحاديث في بيان علاج ذلك منها : »من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ، قالوا : فما كفارة ذلك؟ قال : أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك« رواه أحمد.
ولأبي داود عن عقبة بن عامر قال : »ذكرت الطيرة عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : »أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك«.
إن هؤلاء المتشائمين والواقعين في شَرَك هذا الشرك الأصغر إنما هو لظنهم أن التطير سبب في حصول نفع أو دفع ضر، ومن ثم فإنه يتعين على المكلف أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور :
أحـدهـا: أن لا يـجـعـل مـنـهـا سـبباً إلا ما ثبت أنه سبب شرعاً أو قدراً، والطيرة ليست كـذلك، فـالـشـارع نـهـى عـنه، وأمـا القدر فإن التطير ليس سبباً مادياً معهوداً في حصول المقصود، ومن ثم فلا بد من إبطال التطير وإلغائه.
ثانياً: أن لا يعتمد العبد عليها بل يـعـتـمـد عـلى مسببها ومقدرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على المنافع منها.
ثالثاً: أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله وقدره ولا خروج لها عنه (13).

ومن أمثلة هذا الشرك، شرك الألفاظ، ومنه الحلف بغير الله لما جاء في الأحاديث الكثيرة من التحذير من ذلك، ووصفه بأنه شرك، ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم -: »من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك« رواه أحمد وأبو داود.
وكذلك حديث ابن عمر مرفوعاً: »إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت« أخرجاه، وعن بريدة مرفوعاً: »من حلف بالأمانة فليس منا« رواه أبو داود، وقد جاءت كفارة ذلك من حديث أبي هريرة مرفوعاً: »من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله« رواه البخاري ومسلم.
ومن شرك الألفاظ ما ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: ((فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً)) [البقرة 22]، حيث قال -رضي الله عنه- : الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صخرة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يافلان، وحياتي، وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها »فلان« هذا كله شرك. رواه ابن أبي حاتم.
ومن الشرك الأصغر : الشرك الخفي : وهو الشرك في الإرادات والنيات ، ورحم الله ابن القيم عندما يقول عن هذا الشرك : »فذلك البحر الذي لا ساحل له ، وقل من ينجو منه ، فمن أراد بعمله غير وجه الله ، ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته«.
ومن هذا الشرك : يسير الرياء ؛ لقوله -صلى الله عليه وسلم- : »إن يسير الرياء شرك« رواه ابن ماجه وأما الرياء المحض فهذا من النفاق الأكبر المخرج من الملة ، كما ذكر ذلك ابن رجب -رحمه الله- في جامع العلوم والحكم. وقد سمى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الرياء شركاً خفياً، وسماه شرك السرائر، فعن أبي سعيد مرفوعاً : »ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا : بلى. قال : الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل« رواه أحمد.
وعن محمود بن لبيد -رضي الله عنه- قال : خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال : »يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الرجل إليه ، فذلك شرك السرائر« رواه ابن خزيمة.
إن الرياء داء عضال ، وآفة عظيمة تحتاج إلى علاج شديد وتمرين النفس على الإخلاص ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والاستعانة بالله على دفعها(14).
وكما قال الطيبي عن الرياء : »هو من أضر غوائل النفس ، وبواطن مكائدها، يبتلى به العلماء والعباد، والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة، فإنهم مهما قهروا نفوسهم وفطموها عن الشهوات ، وصانوها عن الشبهات

عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة، الواقعة على الجوارح ، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل ، فوجدت مخلصاً من مشقه المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ، ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى، وفرحت بحمد الناس ، ولم تقنع بحمده الله وحده ، فأحبت مدحهم ، وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل ، فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات ، وأعظم الشهوات ، وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته ، وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة، قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين ، وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين ، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ، ولذلك قيل : »آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة«.
يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : »فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس فيه شانه الله (15)«.
وقد أرشد نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى علاج لهذا الشرك ، فقد جاء في حديث أبي موسى الأشعري أنه قال : خطبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم فقال : »أيها الناس اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقيل له : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال : قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه« رواه أحمد(16).

الهوامش :

1- انظر حاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم على كتاب التوحيد ص 50.
2- انظر اقتضاء الصراط المستقيم 1/208.
3- أكثر هذه الدلالات استفدتها مما كتبه الشيخ عايض القرني في رسالته »الماجستير« : ضوابط التكفير عند أهل السنة - جامعة أم القرى بمكة - ص 257-258 ، وكتاب حد الإسلام وحقيقة الإيمان لعبد المجيد الشاذلي ص 183.
4 - انظر مدارج السالكين 1/344.
5- القول السديد في مقاصد التوحيد ص 43 ، انظر كتابه سؤال وجواب في أهم المهمات ص 18.
6- انظر حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص 50-1ه ، وانظر الدين الخالص لمحمد صديق 1/388، وقد أشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد باب من الشرك لبس الحلقة إلى أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.
7- جامع الرسائل 2/254.

8- الرد على البكري (تلخيص كتاب الاستغاثة) ص 146 ، وانظر رسالة البيان الأظهر لعبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين ص10 ، وانظر تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص 98.
9- إغاثة اللهفان 1/98، وانظر الجواب الكافي ص 177.
10- مدارج السالكين 1/339.
11- المرجع السابق 1/341.
12- عن كتاب الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة لعبد الرزاق العناد، حيث نقل هذا الكلام عن فتوى بعثها السعدي للشيخ عبد الرحمن الحصين سنة 1374هـ ص 188 ، 189 .
13- انظر الفتاوى لشيخ الإسلام 1/137 ، والقول السديد للسعدي ص 33-34.
14- انظر الرياء وأحكامه وعلاجه في الإحياء للغزالي ، وكتاب مقاصد المكلفين للدكتور عمر الأشقر.
15- انظر تعليق ابن القيم على هذه العبارة في إعلام الموقعين 2/178.
16- هذا المبحث - أعني صور الشرك الأصغر وأمثلته - مأخوذ في غالبه من كتاب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وانظر تفسير ابن كثير 2/475 ، عند قوله تعالى : ((ومَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إلاَّ وهُم مُّشْرِكُونَ)) [يوسف 106].

نحن والغرب

لمحات في طرق نقل التقنية والتخلف التقني في العالم الإسلامي

د.عبد الله بن صالح الضويان

إن المتأمل في أحوال الدول يجد أن القرار بيد تلك الدول القوية عسكرياً والتي وصلت إلى مستوى متقدم من حيث امتلاك التكنولوجيا. وعلى النقيض تجد أن الدول المتخلفة (والمسماة مجاملة بالنامية) ، وفي مقدمتها الدول الإسلامية لا تملك أي قدرة على اتخاذ القرار فيما يتعلق بالأحداث الدولية، بل فيما يتعلق بأوضاعها الداخلية، ولا ريب أن السنن الربانية اقتضت أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وعملية التغيير النفسي هذه تشمل التغيير في شتى المجالات، فنرى أن العالم الإسلامي متخلف سياسياً، واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات أو الحكومات. ولا شك أيضاً أن عملية التغيير الشاملة هذه لا بد أن تكون ضمن إطار متكامل ومتزن ثابت في جوانب، متطور في جوانب

أخرى، ذلكم هو المنهج الإسلامي الصافي من الخرافات والبدع الملائم لكل زمان ومكان.
قال تعالى:((وعَدَ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَذِي ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ومَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ))، وإن انتشار ظاهرة التدين بين الأمة وخاصة الشباب لهي بشارة خير، ومع قناعتنا أن هذا الرجوع إلى الله وهذه الصحوة لابد أن تقرأ التاريخ ، وتتمسك بمنهج أهل السنة ، حفاظاً عليها من الوقوع في الانحراف - أي انحراف كان - في مجال التربية أو الفكر، فإنه لابد لهذه الصحوة أن تأخذ دورها في جميع المجالات : الإعلامية ، والاقتصادية ، والاجتماعية، والتكنولوجية ، إننا نعيش في مرحلة تأسيس تكنولوجي للعالم الإسلامي ، وذلك يستلزم الابتداء من حيث انتهى الغرب ، هنا لابد من نقل ما توصل إليه من رقي تكنولوجي ، واستلام عجلة القيادة منه ، إن عملية النقل عملية شاقة وطويلة ، مضخمة ، تأخذ بعين الاعتبار الضوابط الشرعية التي تدين بها الأمة وهي مرتكزة على مبدأ إسلامي: ((وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ومِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وعَدُوَّكُمْ)). وهذا البحث ما هو إلا لمحات في قضية التخلف التكنولوجي (التقني) لدى الأمة الآن ، وسبل تخطيها ونقل التكنولوجيا إليها من دول سبقتها ، قمت بتجميعه من مصادر متنوعة ، بالاضافة إلى بعض الاقتراحات والتي أدرجتها في آخر البحث. ولا بد أن أذكر مرة أخرى بأن الأمة ما عادت تثق إلا بجيل الصحوة ، وطرحت كل فكر ومفكر وقائد ملحد علماني لا يقيم لدين الأمة وزناً، فهل نأخذ زمام المبادرة؟

ما هي التكنولوجيا :

إن تجديد المصطلحات أمر في غاية الأهمية، إذ بدونه سندور في حلقة مفرغة، ولا نستطيع أن ننطلق من مفاهيم واضحة للوصول إلى حل أي مشكلة، ونظراً للمطاطية التي اكتسبها مفهوم التكنولوجيا، فقد أصبح من الصعب التوصل إلى تعريف دقيق موحد للتكنولوجيا يقبل به جميع المهتمين بالموضوع، لاسيما وقد ارتبط لفظ تكنيك technique وهو قديم بلفظ تكنولوجيا technology، وهو حديث نسبياً.
إن كلمة تكنولوجيا إغريقية الأصل، وهي تعني في عصر الحضارة اليونانية والرومانية القديمة كل الفنون المتعلقة بالمهارة والبراعة وحذق الصناعة ، وهي الجهد المنظم الرامي لاستخدام نتائج البحث العلمي في تطوير أساليب العمليات الانتاجية لتسخير البيئة المحيطة بالإنسان وتطويع ما فيها من مواد وطاقة لإشباع مصالحه الضرورية والحاجية والتحسينية.. وبصورة عامة مجموع السبل التي توفر للإنسان حياة مادية آمنة.

إن هذا التعريف فيه شيء من الشمـولية المرضية، مع أنه يوجد تعريفات أخرى ويستطيع أي واحـد مـنـا أن يـعـطـي نفس التعريف، ولكن بألفاظ يختارها من عنده، ومن التعريف يتضح الارتباط الوثيق بين لفظ العلم ولفظ التكنولوجيا.

العلم والتكنولوجيا :

للتفرقة بين العلم والتكنولوجيا نستطيع القول بأن العلم هو معرفة السبب (لماذا Know - why) في حين أن التكنولوجيا هي معرفة (الكيف Know - how). العلم يأتي بالنظريات والقوانين العامة، والتكـنـولـوجـيا تحولها إلى أساليب وتطبيقات في مختلف النشاطات والميادين ، فمثلاً: إذا كانت الـعـلـوم الفـضائية قد توصلت إلى نظريات محددة عن طبيعة القمر وتنبأت بإمكانية إنزال الإنسان على سـطـحـه ، فـإن التكنولوجيا الفضائية قد استطاعت أن تصل إليه وتحصل على عينة من تربته وتعيدها إلى الأرض ليتم فحصها من قبل العلماء لمعرفة مدى تطابق خصائصها مع ما توقعته نظرياتهم.

كذلك يمكن القول بأن العلم يملك صفة العمومية أما التكنولوجيا فتملك صفة الخصوصية، فالعلم نتاج فكري ، أما التكنولوجيا فهي نـتـاج عملي ، كذلك نلاحظ أن العلم متاح لكل من يملك الذكاء والقدرة المادية لتحـصـيـله على خلاف التكنولوجيا. ومن هذا يأتي الفرق بـيـن الاكـتـشـاف والاخـتـراع، فـمـثـلاً اكتشف نيوتن قانون الجاذبية وأينشتين النظرية الـنـسـبـيـة، واكتشف الإنسان النار ضمن احـتـكـاك حجرين ولكن اخترع طرقاً وأساليب لـتـولـيـدهـا وهكذا ، ولا نخلط بينهما بسبب حدوث بعضها (الاكتشافات والاختراعات) بالصدفة كما هو معلوم. هذه مقدمة موجزة لتعريف بعض المصطلحات الجافة والفكر الذي يوجه أمة من الأمم.

تأثير صراع الايديولوجيات على توجيه العلم :

يظن الكثير أن حقائق العلم غير قابلة للصراع الأيديولوجي، وفي حقيقة الأمر يتعرض العلم والتكنولوجيا للخضوع للنزاعات الايديولوجية والقومية، وهذا أمر نجده بصورة قليلة فيما يتعلق بكشف القانون العلمي، ولكن بصورة كبيرة في الجانب التكنولوجي، وللتوضيح نورد بعض الأمثلة.

1- عندما هرب أينشتين من الحكم النازي ولجأ إلى السويد ثم أمريكا ، هوجمت نظرياته في ألمـانـيـا، وقـوطـعـت فيزياء أينشتين لفترة طويلة، وكان ينظر في الاتحاد السوفييتي إلى النسبية على أنها نظرية مثالية.

2- لعب اليهود دوراً بارزاً للترويج لنظرية دارون في أوربا نكاية بالكنيسة، وكانت من الأسباب التي غيرت فكرة الأوربيين حول عقيدة الخطيئة وصلب المسيح (في عقيدتهم) لاسيما في بدء عصر النهضة في أوربا آنذاك.

3- في فترة من الفترات كان عالم الأحياء السوفييتي (لايسنكر) يحصل على دعم السلطة الشيوعية، فكان يوفق بين نظرياته العلمية وبين النظرية

الشيوعية كما كان يحجب الكثير من الأبحاث العلمية عن أصدقائه ومواطنيه الذين كانوا على خلاف معه ، وكانت نتيجة ذلك تأخر هذا الفرع من المعرفة في هذه البلاد. ولهذا فإن نتائج العلم تطوع أحياناً لفلسفات باطلة تبين علاقة الإنسان بالمجتمع والكون. لهذا فحري بأهل الحق أن يستلموا الراية ليوقفوا الفوضى الضاربة الأطناب ، ويضعوا الإنسان في مكانه الصحيح.

أسلمة العلوم :

يأتي دور أسلمة العلوم في شكل متناسق مع عملية النقل التكنولوجي، لا لإضافة أيديولوجية جديدة إلى العلم - وإن كان هذا مسوغاً لها - ولكن لكي تعيد للعلم موضوعيته كما كان في عصر الحضارة الإسلامية، إن أسلمة العلوم ضرورة حتمية ، خاصة بعد ظهور نزعات في الغرب الآن مثل (العلموية) التي تقدس العلم وتعتبره القادر على حل كل شيء. ويقابل ذلك نزعة (التكنوقراطية) والتي تؤكد على أن التكنولوجيا أفضل من غيرها على صياغة قوانين المجتمع. يقابل هاتين النزعتين نزعة أخرى وهي (اللاعلمية) وهي معادية للعلم وتحذر منه ومن خطورة المادية المعاصرة ، وأنها ستؤدي بالبشرية إلى الهلاك ، ولابد من العودة إلى الفطرة والبعد الكامل عن العلم. ونشير هنا إلى ذلك التحقيق عن منطقة في ويلز ببريطانيا يعيش أهلها بعزلة عن العالم (منذ سنتين) ويوجد نفس التفكير عند مجموعات أخرى في أمريكا.

هذه المسوغات كافية لبيان ضرورة أسلمة العلوم ، بالإضافة إلى أن عقيدة التوحيد تدفع العلم. إلى ما لا يعرفه الغرب ؛ لأنها تعطي تصوراً أن هناك علماً ظاهرياً وآخر غيبياً، ومن ثم يعرف الباحث حدود بحثه. وهذا من شأنه أن يشعر العالم بالاطمئنان ، لأن الظواهر التي يدرسها تتسم بالاضطراد والاستمرارية ، حيث إن مشيئة الله شاءت أن تؤكد استمرارية الأشياء واضطراد الظواهر، وأن التعميم فيها له معنى من خلاله يتعرف الباحث على قدرة الله ، وهذه نقطة مفقودة في الفلسفة المادية الغربية.

التكنولوجيا فريضة وضرورة :

إن التكنولوجيا وتطورها له دور في توجيه الصراعات القائمة، وهذا يفرض إعادة نظرة بصورة شاملة في الرؤية التغييرية ، وتحديد أساليب العلم من أجل التنمية المتكاملة للأمة الإسلامية لتفرض نفسها بين الأمم بقوة العلم والجسم ، إن التحديات اليهودية المعاصرة (مثلاً) تفرض على الأقطار الإسلامية الدخول في عصر العلم والتكنولوجيا ، وخلع ربقة التشكيلات والهياكل البالية على جميع الأصعدة.

إن الغرب والشركات الاحتكارية الدولية الكبرى وهي تعمل على احتكار العلم والتكنولوجيا، يضعان شروطاً صعبة على حركة المد الإسلامي، وجعلها تعيش في واقع محدد لا تتعداه ، وإن تدمير المفاعل النووي

العراقي وخوفها من المفاعل النووي البكستاني لدليل على سعي أعداء الأمة للحيلولة دون إنجاز تكنولوجيا متقدمة في العالم الإسلامي، ولسنا بصدد ذكر مقولات قادة الغرب والشرق عن عدوهم المشترك المقبل ولجوئهم إلى ما يسمى سياسة الوفاق الدولي ، والذي هو في حقيقة الأمر وفاق على عدو مشترك وهو المد (الإسلامي !) المتنامي ، مع يقيننا بأن أهل الباطل يختلفون على المصالح ، كيف لا والخلاف قد يحصل بين دعاة الحق.
ولقد أثبتت الأحداث في الخليج ضرورة السعي إلى الاستقلال الكامل لأمة الإسلام عن أعدائها في المجال الاقتصادي والعسكري والعلمي والفكري والتكنولوجي ، وفي اتخاذ القرار . وكل واحد من هذه المجالات يحتاج إلى بحوث مستمرة يتبعها عمل جاد.

يتبع

المسلمون في العالم

دروس من الأحداث

عبد العزيز بن ناصر الجليل

فإن من الأصول المستقرة في باب الإيمان بالله عز وجل : الإيمان بقضاء الله وقدره ، وأن شيئاً لا يحدث في هذا الكون صغيراً أو كبيراً إلا بعلم الله عز وجل وإرادته وخلقه له قال تعالى : ((إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)) [القمر 49] وقال جل شأنه ((وكُلُّ صَغِيرٍ وكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ)) [القمر 53].
كما أن الإيمان بالله سبحانه وقضائه وقدره وأسمائه وصفاته ، لا يحصل إلا بأن يجزم المسلم أن ما يكتبه الله عز وجل ويقدره في هذا الكون فمن ورائه حكمة بالغة ولو ظهر للناظر أنه شر ومكروه. فالإنسان بإدراكه المحدود في الزمان والمكان ، ولأن من طبيعته الجهل والظلم ، فإنه لا يمكن أن يدرك مآلات الأمور وعواقبها ، ولا يعلم بذلك إلا العليم الحكيم خالق الأشياء ومقدرها وعالم الغيب والشهادة ، قال تعالى ((قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ الغَيْبَ إلاَّ اللَّهُ ومَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)) [النمل 25]، وقال تعالى: ((أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ)) [الملك 14]، وقال تعالى : ((مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ ولا فِي أَنفُسِكُمْ إلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)) [الحديد 22].
إذ الأمر كذلك فلا شك ولا ريب أن ما حصل من أحداث وشرور في أحداث الخليج ، إثر الاجتياح العراقي للكويت ، لابد وأن نخضعها للأصول الآنفة الذكر، وأن من حاد عن هذا المنهج فقد خسر إيمانه بالله عز وجل أصلاً، وانحاز إلى معسكر الكفر والإلحاد الذين لا يؤمنون بشيء من هذه الحقائق ، وإنما يفسرون أحداث التاريخ تفسيراً مادياً معزولاً عن علم الله عز وجل وتقديره

وحكمته البالغة فيما يخلق ، وعلى ضوء ما سبق فإن الواجب على المسلم إزاء هذه الأحداث أن يؤمن إيمانا جازماً أن ما قدره ، الله عز وجل في أحداث الخليج - وإن كانت موجعة ومؤلمة - فإن من ورائها حكمة بالغة اقتضتها حكمة أحكم الحاكمين ، والمرتبطة باسمه (الحكيم) سبحانه وتعالى. ولقد ظهرت بعض الدروس والحكم جـلـيـة مـن خـلال هـذه الأحـداث المؤلمة، مع أن ما خفي علينا في غيب الله عز وجل من الحكم والمصالح أكثر ومن هذه الدروس التي ظهرت ما يلي:

الدرس الأول :

التعرف على سنة الله عز وجل في التغيير ، وهي التفسير الإسلامى للأحداث.
إن ما حصل من أحداث في دولة الكويت وما ترتب على هذا الحدث من أمور ومستجدات قد فتح أعيناً عمياً وأذاناً صماً على حقيقة مهمة ، وسنة ثابتة لا تتغير ألا وهي : ((إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) [الرعد 11].
وأصبحنا والحمد لله نجد هذه الحقيقة على ألسن كثير من الناس الذين منّ الله عليهم باليقظة بعد الغفلة، رجالاً ونساءً وعوام ومثقفين. وهذا بحد ذاته نعمة ومنحة ورحمة من الله عز وجل لم تكن لتحصل لولا قدر الله عز وجل لهذا الحدث.
لقد كنا نعترف ونؤمن بهذه الحقيقة قبل ذلك ولكنه إيمان ضعيف أما الآن فقد تحول هذا الإيمان إلى صورة واقعية عملية، صار الخبر فيها عياناً، ولا شـك أن الإيـمـان بهذه السنة الـثـابـتـة وأثـرهـا عـلـى الـنـفـوس سيكون أبلغ وأقوى من الإيمان بها قبل وقوعها، وكما هو معروف أن الطرق على الحديد وهو ساخن أقوى بكثير في تليينه وتأثره من الطرق عليه وهو بارد.
كما أن رحمة الله عز وجل وحكمته البالغة قد تجلت في هذا الحادث بأنه لم يترك الناس ينحدرون وبعجلة سريعة إلى الـفـساد وهم غافلون عما ينتظرهم من الهوة السحيقة التي هم قادمون عليها لو استمر انـحـدارهم ولم يأت ما يوقفهم ويحد من انحدارهم ، ولذا فإن من رحـمـة الله عـز وجـل أنـه يوقف الناس عن فسادهم بالوسائل الشرعية للإصلاح ، فيقدر عليهم أحداثاً مؤلمة تشدهم عن المزيد من الانحدار ، وتقف أمام تهالكهم على الفساد لعلهم يرجعون ويتوبون ويستيقظون من غفلتهم ، قال تعالى : ((ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) [الروم:14]، وهذه والله هي عين النعمة والرحمة وإن كان ظاهرها التشريد والقتل وفقد الأموال ، فإن كل هذه المصائب تهون وتصغر عند فقد الدين وما يترتب عن ذلك من مفاسد كبيرة فيما لو استمرت عجلة الفساد في انحدارها الـشـديـد ولـم يـأت للـنـاس ما يوقفهم ويهز رؤوسهم ليستيقظوا ويتداركوا انفسهم من السقوط في هوة سحيقة هم يـتـجـهـون إلـيها ، لو لم يوقفهم

الله عز وجل بما يقدره من أحداث. وإن هذا الدرس العظيم لا يدركه ولا يستفيد منه إلا المؤمن الذي يجعل من مثل هذه الأحداث باباً إلى التوبة ومحاسبة النفس والرجوع إلى الله عز وجل ، وتغيير الأحوال. أما المنافق والمادي والعلماني وغيرهم من أهل الإلحاد والزندقة ، فلا تراهم إلا ساخرين ومستهزئين من هذه المعاني العظيمة ، والأصول الإيمانية الثابتة، ولا تزيدهم هذه الأمور إلا كبراً ما هم ببالغيه ، ولن يزيدهم هذا إلا رجساً إلى رجسهم كما قال تعالى : ((وإذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إيمَاناً فَأَمَّا الَذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إيمَاناً وهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124) وأَمَّا الَذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إلَى رِجْسِهِمْ ومَاتُوا وهُمْ كَافِرُونَ (125) أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ ولا هُمْ يَذَّكَّرُونَ)) [التوبة 124 - 126]، وقال تعالى : ((فَلَوْلا إذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ولَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الأنعام 43].

الدرس الثاني : تمييز الخبيث من الطيب :

يقول الله تعالى : ((مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ المُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّـيِّـبِ ومَا كَـانَ اللَّهُ لِيُطْـلِـعَـكُمْ عَلَى الغَيْبِ)) [آل عمران 179]، إن من رحمة الله تعالى وحكمته البالغة أن يقدر أحداثاً مؤلمة تتميز من خلالها الصفوف ، وتتعرى فيها النفوس ، فتظهر على حقيقتها للناس ، وهذا هو الذي ظهر من خلال هذه الأحداث ، حيث ظهرت حقائق مهمة ساهمت في توعية الناس والدعاة منهم بصفة خاصة ، وذلك بحقيقة أعدائهم ، وتهافت راياتهم ، وانكشاف مخططاتهم ، وادعاءاتهم الكاذبة التي كانوا يخدعون بها الناس ، وتعرت بذلك دول وأفكار ودعوات ، بل إن الإنسان نفسه قد تعرى أمام نفسه ، وكشف من خلال هذه الأحداث حقائق من حوله ومن نفسه ما كانت لتعرف لو لم يقدر الله عز وجل مثل هذه الأحداث ، وإن هذه الثمرة الكبيرة من توعية المسلمين بحقيقة أعدائهم وبحقيقة الأفكار والنحل التي تتلاطم من حولهم ما كانوا ليعرفوا عنها شيئاً ، وبهذا الكم الهائل من المعلومات لولا تقدير الله سبحانه وتعالى لهذا الحدث.

وقد حقق الله عز وجل هذه الثمرة في أسابيع عدة ما كانت الدعوة الإسلامية لتحصل عليها في عدة سنوات ، والأيام حبلى بدروس وعبر جديدة، أليس هذا من رحمة الله وفضله؟ بلى والله ، ولا يعني هذا أننا نتمنى المصائب والفتن ، معاذ الله ، فإن المسلم لا يدري ما تكون حاله حينئذ وقد نهانا الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك بقوله : »ولا تتمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموه فاصبروا« متفق عليه.

ولكن أردت الإشارة هنا إلى ربط الأحداث بعلم الله عز وجل وحكمته البالغة ، وأن شيئاً في هذا الكون لا يكون إلا بعلم الله عز وجل وحكمته البالغة ، ويريد الله عز وجل منه الخير للمسلمين في الحال أو المآل.

الدرس الثالث : أهمية التوحيد والتربية عليه :

لـقـد ظـهـر مـن خـلال هـذه الأحـداث الأهمية البالغة لتربية النفوس على عقيدة التوحيد الخالص ، ولقد بدا من خلال الأحـداث أن هـنـاك ضـعـفاً شديداً في هذا الجانب المهم في حياة المسلم ، كما ظهر من خلال الأحداث أن هذا الأصل المهم من أصول الإيمان لم يأخذ حـقـه مـن الـتـربـيـة العلمية والعملية، ولعل من أهم دروس هذا الحدث أن يشعر المسلمون وأرباب التوجيه بضعف هذا الجانب ، وما كان ليعرف هذا الخلل لولا تقدير الله سبحانه وتعالى لهذه الأحداث.

ومن مظاهر هذا الضعف ما حصل من الارتباك الشديد في بعض المفاهيم العقدية ، والتي تعتبر من الثوابت والأصول التي لا تتزعزع ولا تهتز ولا تتغير مهما تغيرت الأحوال والأزمان والأمكنة، ومن أهم هذه الأصول التي اعتراها الاهتزاز : مفهوم الولاء والبراء، الولاء لله عز وجل ولرسوله -صلى الله عليه وسلم- وللمؤمنين ، والبراءة والعداوة للكافرين والمشركين والمنافقين بشتى مللهم وأفكارهم. أما أن يصبح العدو صديقاً والصديق عدواً، وأما أن تبذل المحبة للكافر والعداوة للمسلم ، ويكون الميزان في الحب والعداوة موازين الأرض وموازين المصالح الشخصية ، فهذا كله مما ترفضه عقيدة التوحيد الثابتة ، والتي تقوم الموالاة والمعاداة على أساسها ، وهذا هو أصل لا إله إلا الله الكلمة الطيبة التي وصفها الله عز وجل بقوله : ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإذْنِ رَبِّهَا)) [إبراهيم24-25]. وهي الكلمة التي من أجلها أرسل الرسل ، وأنزلت الكتب ، وجاهد من أجلها أنبياء الله عز وجل ودعاته الصادقين ، كما قال تعالى : ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْرَاهِيمَ والَّذِينَ مَعَهُ إذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ ومِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وبَدَا بَيْنَنَا وبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ والْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وحْدَهُ)) [الممتحنة 4]، أما ما سواها من المصالح الشخصية والموازين الأرضية عدم الثبات والروغان ، فالذي يحب ويعادي من أجل المصالح الدنيوية يدور مع هذه المصالح حيث دارت ، فقد يعادي في الصباح من أحبه في المساء وقد يوالي في المساء من عاداه في الصباح ، وصدق الله العظيم : ((ومَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ ويُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ويَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)) [إبراهيم 26-27]، اللهم ثبتنا بقولك الثابت ولا تضلنا مع الظالمين.

ومما يؤيد الاهتمام الشديد بالتربية على التوحيد ، ما ظهر من النقص والضعف في توحيد التوكل والاستعانة والاستغاثة وغيرها ، مما نتج عن هذا الضعف من الركون إلى غير الله عز وجل من أعداء هذا الدين والثقة بما عندهم أكثر من الثقة فيما عند الله عز وجل.

ولأجل كل ما سبق ظهر أن الحاجة ماسة جداً إلى مزيد من التربية على العقيدة علماً وعملاً ، بأن نتعلم أركان التوحيد وما يضاده من الشرك القديم والجديد ، وأن لا يستخفنا الذين لا يوقنون من أرباب السياسة والمصالح الأرضية فيستهوننا معهم ويُركبوننا في ركابهم ، بل يجب علينا الحذر الشديد منهم ومن مكرهم ، وأن نقبل على ديننا نتعلمه ونعمل به وندعو إلى الله ونصبر على الأذى فيه ، وأن لا نستطيل الطريق أو الوقت الذي نمضيه في تعلم التوحيد بكل متعلقاته كما يجب علينا أن نعي واقعنا ، وأن نربط ما تعلمناه من دين الإسلام بقضايا عصرنا ومستجداته من الأفكار والنحل التي لم تكن موجودة عند أسلافنا ، وأن يكون للتربية الشاملة على التوحيد دورها في مواجهة الشرك المعاصر والتي تشن فيه العلمانية معارك طاحنة ضد المسلمين بوسائل شتى أي أننا نربد منهجاً دعوياً يقوم على (سلفية المنهج وعصرية المواجهة) ، ونقصد بالسلفية : العودة بأصول الفهم والاستدلال إلى الكتاب والسنة وقواعد الفهم المعتبرة لدى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن تبعهم بإحسان ، وذلك لنتمكن من خلال هذا المنهج من المواجهة السلفية المعاصرة لمشكلات عصرنا المتجددة ، حيث لا نقصد بالسلفية : الوقوف فحسب عند القضايا العقدية التي واجه بها سلفنا الصالح انحرافات عصرهم ، وكانت فريضة الوقت يومئذ ، ثم نتخلى عن المعارك الطاحنة التي تديرها الجاهلية في المجتمعات المعاصرة حيث ضاعت إسلامية الراية وإسلامية النظم.
إن السلفية الحقة لا تقبل أن تستهدف الدعوة في بض المواقع تحرير العقائد من شرك الأموات والتمائم ، وتضرب صفحاً عن شرك الأحياء والأوضاع والنظم والتي لا تقل خطراً عن شرك الأصنام ، وكلا الشركين خطير ، كما لا تقبل السلفية الحقة أن تحارب التشبيه والتعطيل في صفات الله عز وجل وتقف عند ذلك ولا تعلن الحرب على تعطيل الشريعة وتحكيم القوانين الوضعية وفصل الدين عن الدولة. وإننا بهذا المنهج الشامل والسلفية المعاصرة نسلم وتسلم عقيدتنا الثابتة من أي خلط أو اهتزاز كما هو الحاصل في هذه الأيام ولكنها الفتن نعوذ بالله منها ما ظهر وما بطن.
وما أحسن ما كتبه الأستاذ محمد قطب في كتابه القيم (واقعنا المعاصر) حول أهمية التربية والرد على من يستطيل طريقها ويريد قطف الثمرة قبل استكمالها فيقول ص486: (أما الذين يسألون إلى متى نظل نربي دون أن (نعمل)؟ فلا نستطيع أن نعطيهم موعداً محدداً فنقول لهم : عشر سنوات من الآن أو عشرين سنة من الآن! فهذا رجم بالغيب لا يعتمد على دليل واضح ، إنما نستطيع أن نقول لهم نظل نربي حتى تتكون القاعدة المطلوبة بالحجم المعقول..) ثم يستمر وفقه الله حول هذا الموضوع إلى أن يقول : (..ونكتفي

بثلاثة أبعاد ننتقيها من بين أبعاد كثيرة ومجالات عديدة لأنها ذات أهمية خاصة وذلك بالنسبة لبناء القاعدة المطلوبة :
يقول سبحانه وتعالى((إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ))، ولو أنك سألت أي إنسان في الطريق من الذي يرزقك لقال لك على البديهة : الله ولكن انظر إلى هذا الإنسان إذا ضيق عليه في الرزق يقول : فلان يريد قطع رزقي! فما دلالة هذه الكلمة؟ دلالتها أن تلك البديهة التي نطق بها لم تكن »يقينا« قلبيا إنما كانت بديهة ذهنية فحسب وبديهة تستقر في وقت السلم والأمن ، ولكنها تهتز إذا تعرضت للشدة، لأنها ليست عميقة الجذور. فلا يصلح لتلك الأعباء إلا شخص قد استقر في قلبه إلى درجة اليقين أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وأن الله هو المحي والمميت ، وأن الله هو الضار والنافع ، وأن الله هو الذي المعطي والمانع وأن الله هو المسير، وأن الله هو الذي بيده كل شيء.. ترى كم جلسة، كم درسا، كم موعظة، كم توجيها يحتاج إليها الإنسان ليرسخ في قلبه إلى درجة اليقين إن الله هو الذي يدبر وأن هذه المخلوقات البشرية التي يخالطها في حياته إن هي إلا أدوات لقدر الله ، وانها حين تضره فهي بشيء قد كتبه الله له ، فلا يتوجه إلا إلى الله في سرائه وضرائه سواء ويعلم - يقينا - أن الخلق كلهم لا يملكون له ولا لأنفسهم ضراً ولا نفعاً).

الدرس الرابع : صحة الفهم وحسن القصد ودورهما في درء الفتن :

في أيام الفتن تضطرب الأفهام وتحتار العقول أمام الشبهات كما أن القلوب تضعف أمام الشهوات ولا يعصم منها إلا من عصمه الله تعالى بعلم صحيح وفهم دقيق يدرأ بهما الشبهات ، وبدين وتقوى وصبر يدرا بها الشهوات ولا يسلم من الفتن ورياحها إلا من تحلى بهاتين الصفتين : الفهم الصحيح ، والقصد الصحيح ومن فقد أحداً من هاتين الصفتين فقد عرض نفسه للفتن ولقد اتضح مظاهر فقد هذين الأمرين أو أحدهما في هذه الأيام أيام الأحداث والفتن فسقط في هذه الفتن من سقط وهلك فيها من هلك ولا يتعدى أسباب السقوط هذين الأمرين الآنفي الذكر فبضعف اليقين والبصيرة تسيطر الشبهات وبضعف التقوى وفساد المقصد تسيطر الشهوات. وصحة اليقين والفهم يتمان بأمرين اثنين: بالعلم بدين الله عز وجل وأحكامه وشرعه ، وبالعلم بالواقع والفقه فيه وأبعاده ، فمن فرط فى أي من هذين العلمين والفهمين فسد فهمه وعرض نفسه للشبهات وأخذ الباطل يحسبه حقاً. أما من تحلى بالفهم بأحكام الله والفهم بالواقع ثم وقع الأول على الثاني فقد تمت له البصيرة ووصل إلى الحق. ولكن معرفة الحق لا تكفي في النجاة من الفتن حتى ينضم إليها التقوى والصبر وحسن القصد فينقاد إلى الحق الذي ظهر ويذعن له ، وإلا لو كان الصبر ضعيفاً أو القصد فاسداً فإن المسلم يتعرض

للفتن من باب الشهوات فلا يصبر على الحق والثبات عليه أمام المغريات والشهوات.
ولقد ساق الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- هذه المعاني بأوضح عبارة وأدقها وأبلغها حيث قال -رحمه الله- في كتابه القيم (أعلام الموقعين) في معرض شرحه لخطاب عمر -رضي الله عنه- إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- في القضاء فقال في شرحه لقول عمر :(فافهم إذا أدلى إليك):
»صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده ، بل ما أعطي عبد عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجل منهما ، بل هما ساقا الإسلام وقيامه عليهما، وبهما يأمن ، العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم ، وطريق الضالين الذين فسدت فهومهم ، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنت فهومهم وقصودهم. وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة.
وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد يميز به الصحيح والفاسد، والحق والباطل ، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمده حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق وترك التقوى.
ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم :
أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات ، حتى يحيط به علماً.
النوع الثاني : فهم الواجب في الواقع ، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله -صلى الله عليه وسلم- في هذا الواقع ثم يطبق أحدهما على الآخر، فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجراً؛ فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله.
وبعد هذا الكلام المفيد من كلام الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-، وبعد النظر الدقيق للمواقف المضطربة إزاء الأحداث والفتن هذه الأيام ، وبعد خوض من خاض وهلاك من هلك فيها إما بقلبه أو لسانه أو يده ، يتبين لنا أن هناك خللاً في منهاج الدعوة عند بعض الدعاة ، ونقصاً في التربية ، لعل من دروس هذه الأحداث اكتشافنا لهذا الخلل حتى نتفاداه ، ويمكن مما سبق تلخيص هذا الخلل في النقاط التالية :
1 - عدم التربية على طلب العلم الشرعي من مصادره الصحيحة وأصوله المنضبطة.
2- عدم التربية على طلب العلم والفقه بالواقع والوعي الصحيح بسبيل المؤمنين فيه وبسبيل المجرمين.

3- هناك خلل في القلوب وفساد في القصود لابد من تداركه والاهتمام بتزكية القلوب وتربيتها على الإخلاص لله عز وجل وإنشاء همّ الآخرة والزهد في الدنيا وعدم طلب محمدة الناس والتربية على الصبر والثبات أمام الشهوات والمغريات.
وعندما يتم التغلب على هذه الأنواع من الخلل ويربى الناس عليها وعلى طلبها ، فإنه بإذن الله تتم العصمة من الفتن وأخطارها، فبالعلم بدين الله والعلم بالواقع تنتقي الشبهات ونحسن القصد والإخلاص لله عز وجل ، والصبر أمام المغريات نتقي الشهوات والله أعلم وبعد:
فإن الدروس والحكم كثيرة وكثيرة ، وليس مقصود البحث هذا هو التفصيل فيها، ولكن ذكرت بعض هذه العبر والحكم والمصالح من هذا الحادث المحيط بنا هذه الأيام ؛ لنتذكر من خلاله أن لأسماء الله عز وجل وصفاته لوازم ومقتضيات لا يتم الإيمان إلا بها، ومن هذه الأسماء الكريمة اسم الله (الحكيم) ، والذي هو موضوع بحثنا في تفصيل لوازم هذا الاسم الجليل والتعرف على العبوديات التي يضمنها ، والآثار التي يتركها في القلب والجوارح ، وما يلزم عليه من لوازم ومقتضيات ، ومنها ما تم استعراضه من الدروس الماضية لحدث واحد مما يقضيه الله عز وجل ويقدره من بين أحداث وأحداث كثيرة تصغر في حجمها وتكبر ولكنها كلها لا تخرج عن علم الله عز وجل وتقديره ، ولا تخرج عن حكمته البالغة وتيسيره.

المسلمون في أراكان (بورما) ومسيرة المعاناة

أحمد موفق زيدان

مـا تـزال مـسألـة الأقليات المسلمة غائبة عن أذهان كثير من المسلمين في المجتمعات ذات الأغـلـبـية المسلمة، بل حتى لو سألت الواحد منهم عن »أراكان« أو »تراقيا« أو غيرها لصعب عليه تحديد موقعها وشيئاً بسيطاً من تاريخها ، ومسلمو الأراكان تعرضوا لهجمات شديدة من الاضطهاد والـقـتـل والـتـعـذيـب والاستلاب على أيدي البوذيين البورميين في محاولة لاستيعابهم ضمن المجتمع البورمي في البداية، وعندما عجزوا عن هذه السياسة شرعوا في سياسة جديدة وهي التخلص من المسلمين إمَّا بالـقـتـل، والإبــادة، أو بـطـرد الـبـعـض إن عجزوا عن إبادته، وما مجازر 1922و 1942 و 1978 ببعيدة عن أذهان المسلمين المهتمين بشؤون أراكان ، وقد التقت (البيان) أخيراً ببعض أركان وأعمدة منظمة تضامن الروهنجيا أراكـان أثـنـاء زيـارة لـهـم لأرض الجـهـاد في أفـغانستان، وحاورتهم وحصلت منهم على

منشوراتهم وبياناتهم ومجلاتهم في محاولة لعرض مسيرة المعاناة التي يعانيها هذا الشعب، وهنا حصيلة التقرير :

1- خلفية تاريخية :

تقع (أراكان) جنوب غرب بورما على الحدود مع بنغلاديش ، وتبلغ مساحتها 20 ألف ميل مربع ، ويحدها غربا خليج البنغال الذي كان يسمى تاريخياً (بحيرة العرب) ، ثم غير اسمه ، ويحدها شمالاً بنغلاديش ، وذلك على طول 171 ميل ، ومن الشرق جبال الأراكان التي تعتبر حداً فاصلاً بين أراكان وبورما الدولة الغازية ، ويصل عدد سكان أراكان إلى 4 ملايين نسمة منهم 70% مسلمون. ويطلق على سكان أراكان (الروهنجيا) وهي مأخوذة من (روهانج) وهو الاسم القديم لأراكان ، وتعرف الآراكيون على الإسلام في القرن الأول من هجرة النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وذلك مع مجيء التجار العرب المسلمين إلى هذه البلاد، وكان لهؤلاء التجار الفضل الأكبر بعد الله عز وجل في نشر الإسلام ، بل وتذكر الروايات أن التجار العرب كانوا يمرون بأراكان حتى قبل الإسلام ؛ لأنها طريق تجارتهم ، وبدأت علاقات العرب مع بعض السكان المحليين منذ تلك الفترة، وفي القرن الرابع عشر وحتى التاسع عشر بدأت قوميات أخرى غير العرب بالوفود إلى أراكان ، مثل الباتان والبنغال والفرس والمغول والمغارية، وبهذا الاختلاط اعتنق الآراكيون الإسلام حتى غدا الإسلام دين الأغلبية في القرن الخامس عشر الميلادي.

وفي عام 1406م لجأ (نراميخله) ملك أراكان آنذاك إلى ملك البنغال المسلم ، وتسمى الآن (بنغلاديش) ويدعى (الياس شاهي) بسبب إغارة ملك بورما البوذي على أراضي أراكان واحتلالها ، واعتنق (نراميخله) الإسلام بعد 24 عاماً من مكوثه عند الملك البنغالي ، واستطاع (نراميخله) مع ملك البنغال في 1420م الانقضاض على أراكان وطرد الملك البوذي منها وتأسيس مملكة إسلامية هناك بقيادته ، وتعاقب عليها حوالي 48 ملكاً مسلماً مدة 250 عاماً إلى أن غزاها البوذيون الزاحفون من بورما مرة أخرى عام 1784م واحتلوا أراضيها.

ويـقـول الأسـتـاذ محمد زكريا ويشغل منصب القائد العام لمجاهدي الحركة الإسلامية في أراكان ، وكان محاضراً في جامعة بورما: في أوائل 1420م دخل 15 ألف مسلم مجاهد من منطقة غزني في أفغانستان لبلادنا وأسسوا هناك مملكة إسلامية، ويضيف الأستاذ زكريا في حديثه بأن المملكة الجديدة فرضت اللغة الفارسية واستمر نفوذ هؤلاء الأفغان حتى عام 1784.

وفي عام 1784م قام البورميون بغزو أراكان واحتلال أراضيها ، وبعد 42 عاماً من هذا الاحتلال أقدمت القوات البريطانية على احتلال بورما وأراكان ، وذلك عام 1824 م ، واستطاع المستعمر البريطاني إحكام قبضته بضم أراكان لبورما ، وعشية الاستقلال وعندما حاولت الحكومة البورمية الجديدة تعيين

الوزراء ضمت وزيرين من المسلمين إليها وقامت بتعيين (12) عضواً مسلماً في البرلمان ، فظن المسلمون أن هذا يعني فتح صفحة جديدة بعيدة عن الاضطهاد والإبادة ، ولكن سرعان ما تلاشى الأمل ؛ لتجاهل الرئيس البوذي لحقوق المسلمين، حيث أعلنوا أن اسم بورما مشتق من (بوذا)، وبالتالي فهي للبوذيين فقط، وعلى المسلمين إن أرادوا البقاء معهم أن يغيروا حروف القرآن الكريم إلى الحروف البورمية وأن يتبادل المسلمون والبوذيون الزواج ، وأن يقوم المسلمون بالتسمي بأسماء بوذية، وترفع النساء حجابها الشرعي ، وبشكل مختصر فقد أرادوا تذويب شخصية المسلم هناك.

حملات الإبادة والاضطهاد :

يقول الأستاذ محمد زكريا: (عندما عجزت الحكومة البورمية عن استيعاب المسلمين في مجتمعها البوذي، وفشلت في سياسة التذويب والامتصاص ، شرعت في سياسة الإبادة والاضطهاد، ففي عام 1942 وقبل الاستقلال قتل من المسلمين 100 ألف شخص ، وفر عشرات الآلاف إلى الدول المجاورة ، مثل بنغلاديش ، ويتابع حديثه فيقول : مازلت أذكر عندما كنت صغيراً في الخمسينات ، عندما أقدم الجنود البوذيون على قطع رؤوس المسلمين وبدءوا يلعبون بها ككرة القدم ويتقاذفونها ، أما القتل والسلب والنهب فهو الغذاء اليومي للجنود البوذيين في مناطق المسلمين ، وأخذهم بالقوة للشباب والكبار من أجل استخدامهم في الأعمال الشاقة ، كبناء الطرق والجسور ونحوها دون دفع أي مقابل لهم ، حتى ولا الطعام ، وإذا لم يجدوا الشباب في المنازل يأخذون النساء.

وبـعـد وصـول الـحـكومة الـعـسكرية للسلطة في بورما عام 1962م اشتد الفـتـك بالمسلمين، ويتحدث عن هذه الفترة الأستاذ سيف الإسلام وهو يشغل نائب رئيس الحركة في حديثه لـ (البيان) يقول:في عام 1978 أجبر 300 ألف مسلم على الهجرة من أراكان إلى بنغلاديش وبـعـد سنة واحدة من حكومتهم هناك طردتهم بنغلاديش بعد توقيعها الاتفاقية مع بورما الحكومة وأعادتهم لأراكان ، وطلبت الحكومة البورمية آنذاك مساعدة غذائية ونحوها لإعادة توطين المهاجرين دون أن تعطي للمسلمين إلا النزر اليسير.

وفي عـام 1982 قـامـت الـحـكـومـة الـبـورمية بتعديل دستور البلاد بحيث يقضي بسحب الجنسية من المسلمين الأراكانيين.

وسلكت الحكومة العسكرية الجديدة سياسة التأميم ، وقام الجنرال (ينون) الجديد الذي عزل رئيس الوزراء السابق (أونو) باتباع هذه السياسة ، (وبعد مدة قليلة من استيلائه على الـسـلـطـة نـفـذ مخـطـطاً واسعاً في تأميم ومصادرة العقارات والممتلكات بصورة (الاشتراكية البورمية) وتحت هذا الشعار أمم 90 % من ممتلكات وعقارات المسلمين ، أما البوذيون فلم يتأثروا سوى بـ 10 % من أراضيهم ، كما قامت الحكومة الجديدة بمنع

المسلمين من أداء الحج ، وذلك في الفترة الواقعة بين 1962- 1968 ، وإذا سمحت بذلك في مجال محدود فهو لعملاء الحكومة، وليس هناك عضو واحد من المسلمين في البرلمان البورمي ولا المجلس التشريعي.

ميلاد منظمة تضامن الروهنجيا:

يقول محمد زكريا: (رداً على هـذه السـيـاسـات التعسفية والظالمة بحق شعبنا قمنا في عام 1982 بـتـأسـيـس هـذه المـنـظـمة وذلك لمواجهة سياسات الحكومة البورمية الرعناء تجاه المسلمين ، وذلك لقيام حكومة إسلامية في أراكان منفصلة تماماً عن بورما، وما زلنا نعد العدة حتى الآن لهذا تربوياً وعسكرياً).

ويقول أحد منشورات الحركة: (نظراً لهذه الأوضاع الخطيرة التي يتعرض لها المسلمون في أراكان استشعر جماعة صالحون مهمة واجبهم ، ومسؤولياتهم نحو دينهم ، وعقيدتهم وأمتهم ووطنهم ، فقاموا للجهاد في سبيل الله للدفاع عن أنفسهم وأعراضهم ، وللحفاظ على دينهم وعقيدتهم وهويتهم الإسلامية).

ويحدثنا الأستاذ زكريا عن بداية التفكير والإرهاصة الأولى لتأسيس الحركة ، وهو الذي كان أحد عناصر الحركة الوطنية الأراكانية ، والتي تتعارض توجهاتها مع الحركة الإسلامية (روهجيا) يقول : (لم نكن في البداية على اطلاع بالأيديولوجية الإسلامية، وبعد حضورنا المؤتمرات مع بعض الجماعات الإسلامية في كوالالمبور ودكا وغيرها اطلعنا على ذلك واستفدنا كثيراً، وبدأنا بالاتصال مع بعض الإخوة ، حيث كنت أعرف الأخ عمر رئيس الحركة حالياً من الجامعة ، وكان يشغل آنذاك منصب نائب رئيس المستشفى العام ، وبعد التدارس توصلنا إلى ضرورة قيام حركة إسلامية بعيدة عن الحركة الوطنية الأخرى المعارضة للتوجهات الإسلامية).

وحول نشاط الحركة يقون محمد زكريا وسيف الإسلام : (حتى الآن نركز على التدريب العقدي لشبابنا والتدريب العسكري أيضاً ونحتفظ بـ 200-500 مجاهد في مخيماتنا التدريبية ، ونرسل الباقين للداخل ، وقمنا حتى الآن بتدريب 2000 مجاهد واكتسبنا أشخاص من كافة شرائح الشعب الأراكاني من علماء وطلبة وموظفين وأساتذة جامعات ، وبشأن تمويلنا فنعتمد على تبرعات إخواننا في الداخل وتبرعات إخواننا المسلمين.

وعن سبب سماح الحكومة البنغلاديشية للحركة أن تزاول بعض نشاطها هناك قال : (هناك حقيقة جغرافية وهي الحدود الطويلة بين أراكان وبنغلاديش ، وليس هناك أي حدود بين الأخيرة وبورما ، ولهذا لا تريد بنغلاديش أن تستعدي شعباً بكامله ضدها ، وهذا ليس في صالحها مستقبلاً، والأمر الثاني هو وجود حركة (شنتي بهيلي) الانفصالية البنغالية ، وتتخذ من الهند مقراً لها ، وإذا أرادت شن هجمات على بنغلاديش ، فلا بد أن تمر بأراضينا وعلاقتنا الجيدة مع

بنغلاديش ستعرقل من نشاطات هذه الحركة، ولعل مشاطرتنا لهم عقيدة واحدة سبب في ذلك).
وبخصوص البدء بالعمل العسكري يقول سيف الإسلام نائب رئيس الحركة :
(حتى الآن نقوم بإعداد أنفسنا وسنقوم بالنشاط العسكري قريباً حالما يتحسن وضعنا وتجهيزاتنا).

قراءة أولية
في حرب الخليج

هناك نظرية في التاريخ تقول : »إن وقوع الأحداث الكبيرة أمر محتم عندما تتفاعل الظروف المـوضـوعـيـة والأسـبـاب المـؤثــرة«. ولكنها نظرية مرجوحة ؛ لأن الإنسان أولاً وأخيراً هو المسؤول عن أعماله في الخير والشر، فلو لم يتصرف فلان كذا ، أو يفعل فلان كذا لما وقع كثير من الحروب.
والكوارث العظام التي تصيب البشرية إنما هي نتيجة الظلم والفساد في الأرض قال تعالى: ((قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ويُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ)) [الأنعام 65].
إن قراءة أولية في هذه الحرب تؤكد لنا:
أولاً : عند نزول الكوارث العظام لابد من الرجوع إلى القرآن الكريم الذي يقول لنا : ((قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ)) ، وإذا رجـعـنـا إلـى الـتـاريخ الحديث سيتبين لنا كيف هو من عند أنفسنا.
لقد وقعت الكارثة الأولى للمسلمين في هذه المنطقة عندما استطاع أعداء الإسلام هدم الخلافة الإسلامية عام 1923 ، وقـد سـاعـد فـريـق مـن الـعرب الإنكليز في الحرب العالمية الأولى، ساعدوهم على ضرب الأتراك طمعاً في دولة عربية، فكانت العقوبة أن عاش العرب تحت حكم الإنكليز والفرنسيين عشرات السنين.
وجاءت الكارثة الثانية عام 1948 بإنشاء دولة (إسرائيل) على أرض فلسطين، فقامت على إثر ذلك انقلابات وثلت عروش، ولكن الناس اتجهوا إلى القومية والوطنية والاشتراكية ، وما زالوا في هذا التخبط إلى أن جاءت الكارثة الثالثة عام 1967 حين احتلت إسرائيل سيناء والضفة الغربية والجولان ، في الساعات الأولى من الحرب. وكانت صدمة عنيفة للناس ، اتجه كثير من بعدها إلى الدين ، وامتلأت المساجد وخاصة من الشباب المسلم ، وأصـبـحـت ظـاهـرة واضـحة في كل أنحاء العالم الإسلامي، وأعجبت المسلمين كثرتهم، فتعجلوا قطف الثمرة ، وأصيبت الدعوة الإسلامية بنكسات هنا وهناك، فهل جاءت هذه الـحـرب لـتـهز العالم العربي والإسلامي هزة أقوى من سابقاتها،

ليعود مثخناً بالجراح متأملاً: ما هي الأسباب، وما هو السبيل وكيف، نتعامل في السياسة، وكيف يفكر الغرب، ولماذا وصل إلى ما وصل إليه؟
ثانياً: من أخطر ما ابتلي به المسلمون طوال حقب طويلة من تاريخهم ، وخاصة في هذا العصر هو داء الاستبداد والدكتاتورية، وما يعقب هذا من الذل والهوان اللذين يمارسان على الشعوب ، ففي هذه الأنظمة الفرد هو الذي. يستطيع أن يورط أمة بكاملها في حرب لا تبقي ولا تذر، وما على كبار القوم والعلماء والمثقفين إلا السكوت أو التصفيق لهذا القرار أو ذاك.
إنها مصيبة المصائب هذه التي ابتلي بها المسلمون وأهل الشرق عامة، حتى سرى الداء إلى العلماء والدعاة، بينما نجد أن الشورى أصل أصيل في السياسة الشرعية الإسلامية ، وأعتقد أننا إذا لم نرجع إلى هذا الأصل في كل شؤوننا ، فلن يكون هناك أمل بالنجاح ، وقد كتب علماؤنا السابقون حول هذا الموضوع وهم مدركون لخطورته ، وكانوا يعانون مثل ما نعاني نحن الآن ، كتب الإمام الطرطوشي عن الشورى وذكر مثالاً فقال : ألا ترى أن إبراهيم -عليه السلام- أمر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها، فيحمله حسن الأدب على الاستشارة فيه فقال : ((يَا بُنَيَّ إنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى)) ، فإذا كان هذا في أمر إلهي فكيف في غيره؟!
ثالثاً : لماذا يخاف قومي من اليهود ، وقد أثبتت الأحداث الأخيرة أنهم أضعف مما نتصور، ورغم امتلاكهم للأسلحة المتطورة فإن عنصر الإنسان يبقى له دور مهم ، وهؤلاء يعتمدون على التكنولوجيا، لأنهم لا يملكون الإنسان الجاد ، وهذا يؤكد لنا مرة أخرى أن المشكلة ليست في صعوبة مواجهة الكيان الصهيوني ، بل في النية أصلاً لمواجهته ، حتى لاسترجاع الأراضي التي فقدت عام 1967 على الأقل ، وحتى لتأييد الانتفاضة التي تقاتل بالحجارة ، فلماذا مؤتمرات السلام والحرص عليها ، ولماذا لا يبحثون هم عن السلام.
رابعاً : أظهرت هذه الحرب خفايا الدول والمجتمعات الغربية، وانكشف ما كان مستوراً، كان التعصب وكره الإسلام والمسلمين مغطى بقشرة رقيقة من الحرية والديمقراطية. لقد تعرض المسلمون الذين يعيشون في الغرب في هذه الأيام للاستهزاء والسخرية ، ثم الشتائم والـضـرب ، وقـد وقـع في الـولايـات المتحدة أكـثر من مائة اعتداء على المسلمين من شتى الـجـنـسـيـات ، وفي بريطانيا تعرض مسجد في مدينة (ووكنج) لحرق أبوابه ، كما تعرض مسجد في مدينة (باتلي) لاعتداء مماثل، وفرنسا أشد من بريطانيا في هذا المجال، والكتاب الأكثر مبيعاً الآن في ألمانيا هو كتاب (سيف الإسلام) وأنه الخطر القادم.
وفي نـدوة تـلـفـزيـونـيـة في بريطانيا قال أستاذ جامعي قادم من إسرائيل : »أنتم تتحدثون عن عاصفة الصحراء، وتنسون عاصفة أشد وهي عاصفة الإسلام«.

لقد ظهرت الفجوة العميقة بين ما يعلنه الغرب ، وما يريده فعلاً، هذا مع أنه لم يقع منهم ضحايا كثيرة فكيف لو وقع!
خامساً: سيكون من نتائج هذه الحرب ظهور أصناف من الناس ، منهم المتشائمون الذين سيقولون (ما في فائدة) ، العرب كذا ، والمسلمون كذا... ودعنا نبحث عن جهة في العالم نعمل ونعيش، ويكون بعضهم متديناً فيقول: نعبد الله لوحدنا ولا نتدخل في شيء، وهؤلاء رغم إخلاصهم ولكن تصرفهم يدل على ضعفهم ، وعدم قدرتهم على الصبر والاستفادة من النتائج.
ومنهم الذين يضخمون المشكلة ودور الغرب وأننا لا نستطيع الوقوف في وجههم ، وأن العالم كله ضدنا، وهذا الصنف قريب من الأول ، وهؤلاء وأولئك ممن لم يرسخوا بعد.
والصنف الثالث هم الذين تهب عليهم العواصف فلا تبددهم ، ويتابعون الجهد وعملية الإنقاذ، ويعلمون أنه لا ينجي من النوائب إلا الإخلاص والوعي والعمل الدءوب.
سادساً: أثـبـتـت هـذه الـحـرب أن العرب إذا لم يهتدوا بهدي الإسلام ، الذي يغير من تركيبتهم الداخلية ويصوغهم صياغة جديدة فإنهم سيعيدون حرب (البسوس) و (داحس والغبراء) التي يفنى فيها المال والأهل والولد.
لقد قامت حرب البسوس بين ربيعة وبكر لأسباب تافهة، من أجل ناقة جرباء ولم تنته إلا بعد أربعين عاماً.
إن الذين يراهنون على المد القومي يثبتون أنهم أغبياء للمرة الثانية، فليس هناك إلا (الله أو الدمار).

ركن الأسرة

هكذا أتمنى أن تكون أمي

مؤمنة الشلبي

1- أتمنى أن تكون أمي وكل أم مسلمة من أرهف الإسلام مشاعرها ، وفتح نوافذ البصيرة في نفسها، فأضاء لها معالم الـطـريق الذي ستسير عليه في تربية أبنائها، وتوجيههم بعيداً عـن الـخـطـر الـذي يـدسـه لـهم أعداء هذا الأمة، متبعة في ذلك شتى الأساليب التربوية النبوية.
2- أتـمـنـى أن تكون أمي على قدر كبير من الوعي والثقافة بما يدور حولها من مؤامرات ودسائس تحاك لها بدقة وتدبير؛ لصرفها عن مهمتها الأساسية في تربية أبنائها الذين هم شــبــاب الإسـلام وسـده المـنـيـع. ولتنهمك هي بتوافه الأمور وصغائر الأعمال من إغراءات دنيوية مثيرة، وزخارف فانية، وموديلات جذابة كذابة، وشهوات تؤجج، وزينة هدامة، وتقليد أعمى لأولياء الشيطان وجنود إبليس.

3- أتمنى أن تكون أمي وكل الأمهات المسلمات على يقين أن وظيفة الأم المسلمة لا تقتصر على العناية بالأطفال من حيث المأكل والمشرب والملبس فقط ، فهذه هبة من الله أعطيت لها، إنما هي المسؤولية الكبرى تجاه الأبناء والتي طوق الله بها عنقها ، وجعلها بمقتضاها مسؤولة عن تربية أولادها تربية إسلامية قائمة على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات فيشبوا مهيئين لتحمل المسؤوليات ، وقادرين على نشر الإسلام بقلوب مؤمنة ونفوس صافية.
4- أتمنى من أمي أن تغرس العقيدة الإسلامية في نفوس أبنائها ، وأن ترشدهم إلى الحلال والحرام ، وتدربهم على العبادات التي تناسب أعمارهم كالصلاة والصيام والصدقة، كما تحرص على أن تطرب أسماعهم بقصص السيرة ، وقصص أبطال الإسلام وعلمائه ؛ لتثير في نفوسهم حب العلم والعمل والبطولة والجهاد في سبيل الله.
5- أتمنى من أمي أن تنصب من نفسها حكماً بين أبنائها ، فلا تظلم ولا تجور ، ولا يذهب بها الهوى أن تميل مع بعض أبنائها دون البعض ، بل تخصهم جميعاً بحبها وعدلها ، وتعترف بالفروق الفردية والعقلية بينهم ، فلا تطالبهم فوق طاقاتهم ، وقدراتهم العقلية والجسمية المختلفة ما بين صغير وكبير وذكر وأنثى.
6- أتمنى من أمي أن تحرص على سلامة الجو العائلي من الخصومات التي تؤدي إلى اضطراب شخصية الطفل وضعفها، مستخدمة من سيرة رسول الله وصحبه المنهل الذي تنهل منه في كل موقف لها مع أبنائها.
7- أتمنى من أمي أن تعلم أنها موضع القدوة لأبنائها، فهي معقد نظرهم ومنار حياتهم ، فإن هي أحسنت وقرنت القول بالعقل غرست فيهم السلوك الراشد والعادات الحسنة ، وجعلت منهم شباباً صالحاً يكون موضع أمل الإسلام وعدته.
8- أتمنى من أمي أن تتيح لأبنائها التمتع بطفولتهم من لهو ولعب ، وأن تختار لهم الألعاب المناسبة لعقولهم ، ضمن إمكانيات الأسرة ، وضمن حدود ما أباحتة الشريعة الإسلامية.
9- أتمنى من أمي أن تحرص على إيجاد جو من الحرية ؛ ليتمكن أبناؤها من التعبير عن أنفسهم وحاجاتهم دون خوف أو خجل أو تردد.
10- وأخيراً أتمنى من أمي ومن كل أم مسلمة - بعد أن تستفرغ كامل جهدها لتعذر إلى الله بالأخذ بجميع الوسائل والأسباب المشروعة - أن تستغرق بالدعاء وبسط أكف الضراعة إلى الله عز وجل ؛ تناشده توفيقها وإصلاح ذريتها ؛ فإن الله سبحانه وحده هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

البديل...

عبد الله بن مبارك آل سيف

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

يـشـكـو كـثـيـر مـن الـنـاس الملتزمين من حاجتهم إلى معرفة البدائل عن منكرات البيوت، وحاجتهم إلى سد فراغ أهاليهم ومن يعولونهم ، ويتذرع كثير من الناس بهذا الأمر إلى إبقاء هذه المنكرات في البـيـوت بشبهة عدم وجود ما يملأ فراغهم ، ولأجل هذين الأمرين دعت الـحـاجـة إلـى طـرح مثل هذا الموضوع على الساحة، فأذكر هنا ما يحضرني - ولعل هذا يشعل الحماس في قلوب الكتاب المجيدين فيكتبون فيه - فأقول: من هذه البدائل:

1- العبادة : وهي من الأمور المهمة التي ينبغي تربية الأبناء والبنات والزوجات والأهل عليها وإشغال وقتهم بها وكل وقت المسلم يمكن أن يكون عبادة بالنية الصالحة.

فمثلاً من كان لسانه رطباً بذكر الله ألا يمكن أن يحس بالفراغ وضياع الوقت ، وكذلك من يحافظ على الصلوات والنوافل والصيام والحج والعمرة والصدقة وقراءة القرآن والنوافل المطلقة ، فمن اشتغل بهذه العبادات سوف يشعر - بلا ريب - بضيق في وقته ، وأنه بحاجة إلى وقت أطول لإدراك كل هذه العبادات ولذا نلاحظ أن وقت العلماء والعباد الصالحين هو وقت قصير في نظرهم ، ويحسون بقصر الوقت وضيقه ويتضايقون من ذلك، في حين أن أصحاب البطالة والفساد يحسون بفراغ رهيب ، ولذا تراهم يقولون : نقتل الوقت ، بأي شيء كان يريدون ملء فراغهم وقتل الأوقات وإهدار الأعمار الثمينة.

2- الاشتغال بالعلم وتعويد الأهل على مصابرته بالأساليب المناسبة وتحبيب الأطفال إلى العلم وتحفيزهم بما يناسب ، وسيأتي تفصيل هذا.

3- وضع دروس علمية في البيت على مدى الأسبوع ، ويختار منها الدروس المشوقة المحببة ، مثل السيرة والتاريخ والتراجم ، ومن ثَمَّ تطور إلى دروس أكثر تنوعاً وعمقاً ، ويراعى فيها الجانب التربوي بالربط بين العلم والعمل.

4- الاعتناء بمراعاة حفظ الأهل للأذكار والأدعية ووضع برامج حفظ على المدى الطويل لحفظ الأذكار والأدعية.

5- وضع دروس لحفظ القرآن على مدى السنة، مع تكرارها في الأسبوع أكثر من مرة، في برامج حفظ ومراجعة، سهلة، وجادة.

6- وضع مسابقات علمية في قراءة كتاب وإدراك القدرة على استيعابه وفهمه - ومن ثَمَّ تنمية القدرات ، ووضع مسابقات علمية بالأسئلة والأجوبة.

7- التشويق في القراءة و التحبيب فيها بوضع كتاب مشوق في القصص السهلة الأسلوب ، جيدة العرض، والمجلات الجيدة ذات المواد الجذابة.

8- إشغالهم في برامج علمية مفيدة تقربهم من الكتب وقد يطلعون في أثناء الفهرسة على كتب تشد قلوبهم قراءتها، ومثل فهرسة كتب معينة أو إدخال معلومات عن الكتب في برامج الكمبيوتر.

9- تكوين مكتبة خاصة في غرفة كل فرد، كل بحسبه وبما يناسبه ،هذا ينمي الاهتمام بالكتب والحفاظ عليها ومن ثَمَّ قراءتها والاستفادة منها.
10- الاستفادة من برامج الكمبيوتر الجاهزة والبرامج المفيدة فيه في التعليم وتنمية الذكاء والقدرات.
11- النزهات المأمونة في حفظ وصون إلى أماكن مناسبة بعيدة عن التهتك ، وممارسة الألعاب المباحة فيها.
12 - اصطحاب الأطفال إلى مجالس الرجال لتعويدهم على الانطلاق في الكلام ومعرفة آداب الرجال من كرم ومروءة وشهامة وخلق حسن.
13- إشغال الفتيات الصغيرات بأمور المنزل وتعويدهن على تدبير البيت وإدارته والتعلم على فنون الخياطة والطبخ والنظام ، والنظافة، وتعويدهن على تحمل مسؤولية البيت وتربية الأطفال.
14- حضور المحاضرات القيمة والدروس العلمية المفيدة .
15- انتظام الأطفال في حلقات القرآن الكريم ومتابعتهم فيها.
16- وضع مكتبة صوتية في المنزل ومتابعة الأشرطة الجديدة واختيار المناسب منها وتوجيه الأهل إليه.
17- ممارسة الألعاب الرياضية التي تقوي البدن بالنسبة للأطفال والمراهقين والشباب وغيرهم ، مثل ألعاب الكراتيه والجودو وغيرها ، وأدوات رياضية تقوي أجزاء معينة من الجسم.
18 - وضع أوقات مخصصة لزيارة الأرحام والأقارب ووضع برامج مفيدة في هذه الزيارات.
19- بث هموم الأمة في مجالس الأنس والسمر ؛ لتكون هموم الأمة تخالج مشاعرهم وتسيطر على إحساسهم وبث الوعي بينهم وإرشادهم إلى مصادر الوعي الموثوقة.
20 - استكتاب الأهل والأولاد وتعويدهم على الكتابة وتقويمهم فيها وتنمية قدراتهم الكتابية وتحبيبهم فيها بوضع حوافز مناسبة.
21- ربطهم باللغة العربية والأدب العربي ، وحفظ دواوين العرب ، ووضع برامج حفظ للقصائد المختارة وتحفيزهم بما يناسب.
22- التركيز على الاعتناء بالدروس المدرسية ومذاكرتها ، ومتابعة حل الواجبات ، والمساعدة على شرح الغامض وتذليل الصعب..
وأخيراً وليس أخراً »الحاجة أم الاختراع« ومن جد وجد، ومن صدق أعين ، ومن أخلص وفق.

تربية

تعويد الأطفال تحمل المسؤولية

خولة درويش

»يرى جميع المربين أن تنمية الشعور بالمـسـؤولـيـة لدى الطفل ينبغي أن يكون الهدف الذي تسعى إليه تربيته وتعليمه فيما تقدمه له من خبرات وتتبع معه من أساليب« (1).

وذلك أن الإنسان اللاهي العابث لن يفيد أمته ولا نفسه بشيء ذي بال. وقد غرس الإسلام في نفوس أتباعه منذ فجر الدعوة الإحساس بمشاعر الأخوة والتزاماتها، ذلك أن الإحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين لن يتكون إلا نتيجة تحمل المسؤولية فعلاً، أي عن طريق المشاركة مع الآخرين من أفراد الجماعة في دراسة ومــواجـهـة المشكلات العامة التي تضمهم وتربط بينهم جميعاً، وهذا نموذج من توجيه النبوة يرشــدنـــا إلى أسلوب بناء شخصية الناشئ ، قال تعالى في قصة إبراهيم -عليه السلام- : ((فَلَمَّا بَلَغَ مَـعَــهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)) [القصص:26].

فلم يتعجل -عليه السلام- على ولده ليقضي أمر الله تعالى ، وإنما شاوره لتكون الاستجابة عن رضا نفس.

فاحترام شخصية الطفل وإشعاره بالثقة في نفسه خير معين له على تحمل المسؤولية والقدرة على حمل التبعات.

-روى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه- »أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحداً« رواه مسلم.

وهكذا يعتاد الطفل الجرأة الأدبية ، وينشأ بعيداً عن الانهزامية ، وفيه قوة رأي وحجة.

هذا ولتحميل الأطفال المسؤولية حدود لا يجوز للمربي أن يتعداها. فلا يصح تكليف الأطفال فوق طاقتهم، وكذا الاستعانة بهم استغلالاً لهم في أمور تجري فيها الإجارة ، وقد جاء في المدونة : وكل من استعان غلاماً ما لم يبلغ الحلم فيما ينبغي في مثله الإجارة ، فهو لما أصابه ضامن (2). كما وأنه لا يصح بحال أن نئد شخصياتهم ، ونهدم فيهم روح الابتكار والتجديد بالتسلط ، وحد باب الحرية أمامهم.

»إن التحكم الفارغ من الأبوين لمجرد الإلزام بالطاعة وتعويد الطفل عليها، فذلك حري بأن ينتهي بالطفل إلى التمرد إن كان شديد المراس ، أو الاستكانة والانطواء إن كان لين القوام ، وكلاهما فاسد«(3).

ويبقى التوازن بين الضبط والحرية اللامسؤولة هو الأسلوب الحكيم ، وخير الأمور أوسطها.
نعود الطفل الاعتماد على نفسه في الأكل والشرب ، بل واختيار ملابسه فتنمو شخصيته ، يشارك في ترتيب السرير والمائدة والكتب... ونحوها ، فينبذ الكسل والتوكل والخمول ويتجه إلى العمل المنتج.
يتعامل مع مصروفه الشخصي بحرية موجهة.. ماذا يشتري وماذا يترك؟ وفي العمل تشاوره المربية : إنك سترتب ألعابك وتمسح غبار الغرفة، فأيهما ترغب تقديمه الآن ، وأيهما يؤخر إلى ما بعد ساعة من الآن؟
لعل ذلك يساعد في قدرته على تحمل المسؤولية، والإحساس برغبات الآخرين ، وتقدير قيمة ما سيعمله لأنه سيجني نتائجه. فعندما يخطئ ندربه كيف يتعلم من أخطائه ونعالج الخطأ بحكمة، فيصلح الطفل ما أفسد، ويزيل آثار فعلته ، فإن وسخ ينظف ، وإن تكلم بكلمة خاطئة يعتذر.. أو يحرم من لعبة ما.. وفي كل حال لا بد من الحكمة والعبر في التعامل مع الأطفال ، والنظر إلى الأسباب الكامنة وراء أعمالهم من وجهة نظرهم هم ، لا كما يراها الكبار، ومن ثَمَّ معالجتها بتحميلهم تبعات أعمالهم. وبالمقابل تشجيع من يبدي استعداداً لتحمل المسؤولية، نشعرهم بلهجة الحب والحنان بواجبهم وإمكانياتهم ، وأنهم سيصبحون من أبطال الإسلام ، فقد كانوا أطفالاً مثله ، وبذلك نبعث الثقة في نفوسهم ويتوثبون نحو العمل الخير المفيد. فإذا بالبنت تعين أمها والولد يساعد أباه حسب إمكانيات الأطفال وكل يبذل جهده راضياً ليعمل بعيداً عن اللهو والعبث.

الهوامش :

1- مشكلات الأطفال اليومية ص 41 دوغلاس توم.
2- المدونة - المجلد الرابع ص 420.
3- منهج التربية الإسلامية - محمد قطب - ص 126.

شعر

بني قومي

مروان كجك

لمـن أشـكـو ضـلالـكـم وأنـتـم مـقـلـة الـزمـن
وأنتم أنس هذا الدهـرذي الـتـنـكـيـل والمـحـن
ألستم خير من ركـبـوا إلى الـجـوزاء والـقـنـن
ألسـتـم يا بني قـومـي دعاةَ الطيِّب الـحـسـن
وأيـديـكـم إذا امتشقت حـسـام الـحق لم تـهـن
فمن في الأرض ينصفكم إذا حـدتـم عـن السـنن

ومن في الأرض يرفعكم إذا لـــذتــم بــــكــل دنٍ
ومن يا قوم يـرحـمـكـم غـــداة الـــروع والـــوهـــن
ومـن يـأسـو جـراحكم إذا ثـعـبـت مـن الـــفـتـن
فهذا الناس قد جمعوا لـــكـــم في الـســر والعـلـن
جـيـاعـاً قد رأوا فيكم شـهــي الـــروح والـــبـــدن
تـداعـوا لا إلـى خـيـر ســوى الإيـذاء والإحـــن
صليب الأمس والأفعى وذاكــم عـــابـــد الـوثـــن
فـقـومـوا نحو بارئكم وصونوا النفس عـن دخن
وهـبـوا هـبة الأبطال أهـــل الـبـأس والـــفـطـن
وزحـوا عن ضلالتكم فـــأنـــتـــم مـقـلـة الـزمـــن

إعلام

المرحلة الإعلامية والشريط الإسلامي

خالد بن صالح السيف

أحسبني لست بحاجة إلى اجترار الكتابة عن الدور الإعلامي وبخاصة بعد أن استحال إلى حـقـيـقـة بـدهـيـة تستظهرها العامة فضلاً عن الخاصة.. وإن شئت فارقبها جلية في تشكل عقلياتهم.. وأبعاد تفكيرهم.. ومنتهى إدراكهم ، بل وفي منطق ألسنتهم..

إذن فليس ثمة حـاجـة فـي إعـادة كلام استمرأه القارئ من ذي قبل ، ولا ضير حينئذ في تجاوز هذا الجانب اتكاءً على ما سلف.

المفهوم قبل اختلاط الأوراق :

يبدو أن لكثرة تداول لفظة - إعلام - واستفحال انتشارها أحالها إلى مصطلح لا يكتنفه غموض ، وكأنه لا يحتاج إلى تعريف ، مع أنها - حقيقة - مازالت غير واضحة المعالم ، ندرك هذا من خلال خلط فج بين مفهوم الدعاية ومفهوم الإعلام ، بل تجاوزه إلى خلط بين هذين المفهومين ومفهوم التعليم ، وربما جاء عرضاً مفهوم الدعوة أيضاً رغم اجتماعها في نقاط تلاق ، مع تباين في بعض الوسائل ، ومن قبل في سبل الغايات ، وسلامة المقاصد ، وخلوص ذات الوسيلة من شوائب التحريم ، وبخاصة في جانب الدعوة إلى الله تعالى ، ولا مشاحة في أن الوسائل ليس لها حكم الغايات من حيث الأمر التوقيفي.

ما سبق لا يعفيني البتة من تجاوز المفهوم ، بل أحسبه يضطرني بداهة إلى إبراز مفهوم الإعلام إضافة إلى وسيلته من جانبي اللغة والاصطلاح : ففي اللغة : ربما قصر على مجرد التبليغ.. ويقال : »بلغت القوم بلاغا« أي أوصلتهم

الشيء المطلوب ، والبلاغ ما بلغك أي وصلك ، وقد جاء في الحديث : »بلغوا عني ولو آية«(1).
كما يقال أيضاً : »استعلم لي خبر فلان فأعلمنيه حتى أعلمه«(2).
نخلص من هذا التعريف إلى أن المفهوم اللغوي للإعلام هو: إحاطة الغير علماً بشيء ليدرك حقيقته.
والوسيلة هي الأخرى : ما يتوصل به إلى الشيء برغبة.
وبإضافة كلمة واحدة على ، ما سبق يقترب المعنى اللغوي من المعنى الاصطلاحي وهو: إحاطة لغير علماً بشيء ليدرك حقيقته بقصد التأثير.
إذن فمحصلة المفهوم إجمالاً هي : تلك الأدوات المستخدمة في نقل المعلومات والمفاهيم والمشاعر والعواطف وغيرها مما يؤثر في حياة الناس.
ما سلف أرجو أن يكون قدراً كافياً يبين عن هوية المفهوم تلافياً لاختلاط أوراق المنظرين.
إذن.. فالإعلام من هذا المنطق ليس مرتعاً مستهجناً لترفيه فاحش ، وليس مرآة ينعكس على أثرها الواقع بتجاوزاته المريبة.
إنما هو وسيلة صالحة ذات قدرة فاعلة على التصحيح والتقويم في مسار أمة وفق منهج راشد يستشرفه الخلص من أبناء الأمة..

تهيئة الطرح الإعلامي :

الوسائل الإعلامية متعددة ، وخاصة ما يمكن استخدامه على نطاق واسع شامل ، وأحسبها تتراوح ما بين وسائل اتصال شخصي بمختلف أنواعها ، ووسائل اتصال جماهيري ، بيد أن ثمة عوامل تقتضي اختيار هذه الوسيلة منها : مدى توافر فاعليتها وتأثيراتها في محيط معين ، كما أن ثمة أسساً للاختيار نفسه تدور حول ما تملكه هذه الوسائل من خصائص موضوعية أو وصفية ، إضافة إلى مقدار خدمتها الإعلامية ، ومدى الانتشار الجغرافي لها مع الإدراك المسبق لطبيعة الوسيلة وإمكانياتها الفنية.
كل ذلك تتم الإحاطة به مسبقاً ليتساوق مع مستوى طرح المادة الإعلامية رغبة في استكناه بعد أثر »المعطيات الإعلامية« في الملتقى.. واستشرافاً من لدن الإعلاميين - على اختلاف مساربهم - للأثر الفاعل والذي من أجله كان التسخير الإعلامي.
وتجيء هذه الكتابة - المجتزأة - وقد قصرت على نوع واحد وحسب ، وهو شريط الكاسيت ، لذا وسنضرب صفحاً عن الوسائل الإعلامية الأخرى.

ميلاد الكاسيت :

في ذات صباح يوم من أبريل عام 1877م تقدم إلى أكاديمية العلوم الفرنسية العامل الفيزيائي (تشارلز كروس) ليسجل لديها فكرة محدثة لتسجيل الأصوات وإعادة سماعها متى شاء مرة ثانية.

ولضعف القدرات المستحدثة حينها لم يتمكن من تطوير جهاز عملي لتنفيذ فكرته ، إلا أن هذه الفكرة لم تخبُ بعد، حيث رأت النور في شهر ديسمبر من العام نفسه عندما أعلن في الولايات المتحدة الأمريكية كل من (توماس أديسون)، ومساعده الميكانيكي (جان كروسي) عن اختراع جهاز عجيب لتسجيل الصوت ومن ثم إعادة إسماعه ، وأطلق عليه اسم (الفونوغراف) ، وبذلك أسهم جهاز التسجيل الصوتي في إحداث ثورة عارمة في مجال الاتصالات. وتحفل الأسواق اليوم بالعديد من أنواع التسجيلات الصوتية التي بلغت ذروتها باختراع أشرطة (الكاسيت) عام 1964 م وهو أصغر الأنظمة التسجيلية حجماً. وإفرازاً لما سلف ذكره مع ما يمتاز به التسجيل الصوتي من ميزات متعددة تبوأ مكانة تعد من أهم وأبرز وسائل الاتصال المؤثرة في المجتمعات على اختلاف أنواعها وتباين فئاتها.. ويحسن بنا ألا نغفل في - سياقنا هذا -جانب الصناعة المتقدمة للتسجيل الصوتي ، حيث أسبغت عليه لبوساً بأن جعلته أكثر وسائل الاتصال الحديثة انتشاراً وتوزيعاً. ففي الولايات المتحدة الأمريكية أكثر بلدان العالم استهلاكاً للأشرطة بلغت مبيعات الأشرطة فيها ثلاثة ملايين دولار سنوياً في إحصاءات مضت عليها سنوات عديدة.
كما أن عدد شركات تسجيل الأشرطة فيها يبلغ أكثر من 1500 شركة ولو لم تجيء هذه الأرقام في إحصاءات معتمدة لحسبتها ضرباً من المبالغة.
وليس ثمة شك في أن ما تحمله بين أعطافها لا يعدو عن كونه غناءً ماجناً صاخباً أو فكراً منحلاً منتناً تمارس فيه الدعوة إلى التنصير وإلى الانحلال الأخلاقي في أرذل صورة! كل ذلك يتم من خلال إدراك طبيعة الوسيلة - الشريط - إمعاناً في تأكيد أثرها في الجماهير المتلقية قاطبة حيث الإغراء والإثارة.

ماذا بعد السنة؟!

وعقب سنة من النوم غطت فيه أمتنا أفاقت على إثر غزو سافر لم تألفه من ذي قبل إمعاناً في إباحة الفجور!! ومحاولة جادة في سلب أثمن ما تملكه الأمة - إسلامها - ليس غير!!
كل ذلك جاء ويجيء من قبل من لا يرقب في مؤمن إلاًّ ولا ذمة! وقد أقضت مضاجعهم تباشير الصحوة الإسلامية، فلله الحمد من قبل ومن بعد ((واللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)) .
ونجم عن هذه الإفاقة المتأخرة جهود لا تزال في بدايتها، بيد أن هذا لا يبرر لنا البتة - بقاءنا في المؤخرة.. ونروح من حينها ننحو باللائمة على المادة ، وعدم تناسبها مع طبيعة الوسيلة.. عند ذلك تقصر بنا الهمة عن تجاوز العقبات متذرعين بحجج واهية لا تنهض لمدَّعٍ عادةً! ولست أدري من لهذه الثغور؟! إن

زهد بها المقتدرون ممن يقع على كواهلهم تبعات الواجب.. وليس ثمة نفل يُمَنُّ به.
على المرء أن يسعى إلى الخير جهده ، وليس عليه أن تتم المقاصد .

أمة فأل :

ومع ما سلف فإنا نربأ بأنفسنا أن يغشانا التشاؤم ونحن أمة فأل تربينا على منهجه السوي وما ارتضينا به بديلاً .
وإنا ننتظر يوماً تتوافر فيه جهود علمائنا وطلاب العلم وذوي التخصص والاقتدار في هذا المجال للانتقال بوسائل الإعلام عامة - وشريط الكاسيت بخاصة - من أطواره الأولى إلى أن يؤدي دوره في التربية والبناء.

وأخيراً:

كم هو جدير بك أيها الأخ المسلم وأنت تدلف إلى أعتاب محالّ بيع الأشرطة الخيرية أن لا تتعامل مع ما تقتنيه بالمقياس المادي ؛ فإنك - والحالة هذه - خاسر لا محالة !!
ولست أدري أين التساؤل - المفترض - من قبلك عن المردود الإيجابي الخير لما تقتنيه - حيث المادة العقدية والشرعية والسلوكية والمعرفية بعامة ، وأربأ بك أن تنسى أن التعامل مع الله تعالى يقتضي التجرد من المساومة المادية.

الهوامش :

1- رواه البخاري وأحمد والترمذي والدارمي في المقدمة.
2- اللسان (مادة علم).

مفارقات

القراءة

خالد الموسى

إن المتأمل لحياة وواقع الـشـعـوب الـغـربـيـة يجد أنها شعوب قارئة متعلمة ، بل ومولعة بالقراءة ، تحب الثقافة بمفهومها العام ، وليس هذا إعجاباً بهم.. لا.. فالطريق مختلف.. لكنها حقيقة يعيشونها وسلوك يحيونه ، فلا تجد شخصاً (بشكل عام) إلا ويقرأ جريدة أو صحيفة مجلة أو قصة أو كتاباً.. تلمح ذلك في الشوارع والمحلات التجارية.. في المكاتب ، في الحدائق العامة والأماكن الترفيهية، في الحافلات العامة والقطارات ، ولن أخوض في ماهية ما يقرؤون من روايات تافهة أو قصص سخيفة أو مقتطفات سطحية أو أو.. فهذا ينعكس عموماً على طبيعة شعوبهم ونمط حياتهم الاجتماعية والفكرية.. ولن أتعمق أيضاً في خلفيات هذه القراءة وهذا النشاط.. ولا الأسباب التي دعتهم ، بل ونمت فيهم حب المطالعة والقراءة.. من أساليب تربوية ومناهج تعليمية أثناء

مراحل الدراسة.. لكن شيئاً واحداً ملاحظاً ونؤكد عليه كظاهرة عامة واضحة : إنها شعوب قارئة.
والعجيب أن أمة الإسلام التي بدأت رسالتها بأول آية نزلت من السماء ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَذِي خَلَقَ)). قلما تجد قارئاً ونادراً ما تجد مولعاً بالعلم أو شرهاً للمطالعة وحب المعرفة. بل حتى طلبة العلم انتقلت إليهم العدوى، وكأنهم مرغمون أو مجبرون على القراءة والتعلم.
وإنها لمفارقة أن تجد أعداء الإسلام والعلمانيين وأصحاب الفكر والمذاهب الهدامة والتيارات المنحرفة لا يكلون ولا يملون من المطالعة والبحث والكتابة ، فتجد مؤلفاتهم وكتبهم تملأ الأسواق ومقالاتهم تغطي الصحف والمجلات والجرائد ، ويتناولون مواضيع مهمة ، ويتطرقون لأبحاث جديدة.. فيبدو وكأنهم رواد الحضارة والثقافة العربية المعاصرة.
وهذا الكسل له أسباب أذكر بعضها:
1- منهج التعليم والأسلوب التربوي الخاطئ في المدارس والبيوت المحشو بكثرة المعلومات وإجبار الطلاب على الحفظ وملء دماغه بمعلومات مفيدة أو غير مفيدة ، وجعل ذلك أصلاً ومقياساً للنجاح أو التفوق يخلق نوعاً من الكراهية والملل والضجر من القراءة وحب البحث. وغياب البحث العلمي وأسلوب تنمية التفكير والمشاركة لكل ما يلائمه ، وإعطاء الأطر العامة ، وترك الخيار والتشجيع للطلاب بالحب الذاتي والرغبة الداخلية للبحث العلمي.
2- طبيعة البيئة التي نعيشها والرواسب السلبية الراسخة منذ عهد الانحدار الفكري والخلقي والعلمي ، إضافة لتأثيرات رواسب الاستعمار الغربي الفكري والثقافي والاجتماعي على مجتمعاتنا.
3 - التركيز والتصويب نحو هدف وغاية العلم والحياة: هي رغد العيش ورفاهية الحياة، وليس هدفاً سامياً.. خلق في نفوس الكثير اللامبالاة وضعف الإحساس وفقدان أهمية الوقت وأهمية العلم.
4- انعدام المسؤولية ، مسؤولية حمل الرسالة وحمل الأمانة والنهضة بالأمة النهضة السليمة التي أوكلت إلينا، كما يقول الله عز وجل : ((إنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وحَمَلَهَا الإنسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً))، ومتى فقدت الأمة مسؤوليتها فقل عليها السلام.
5- نوعية ما يوجد في الأسواق وما يكتب في الصحف وما يوجد في وسائل الإعلام ، تنفر الفرد من الإقدام.
وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : »إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له«. أليس من جذور الإيمان التعلم والعلم والعمل به، وبالعودة لهذه الجذور والأصول وحب العلم والعمل تعود لنا المكانة التي أرادها الله لنا.

منتدى القراء

تصحيح مفاهيم
حول كتاب واقعنا المعاصر

زين الدين حاج الطيب

حـيـنـما نـزل الـعـمل الإسلامي إلى الساحة السياسية ثارت بلبلة في صفوف بعض الشباب الذين أخذوا أطــراف الحديث حول هذا الموضوع مستدلين بتجارب لا يمكن مقارنتها مع الوضع القائم في الجزائر(1) ومستشهدين في ذلك بمواقف الأستاذ محمد قطب الذي تعرض في كتابه »واقعنا المعاصر« للعمل الإسلامي الذي ينطلق من منبر الحكم ليصل إلى القاعدة مع العلم أن الحال في بلادنا يكاد يكون العكس تماماً ، والفرق شاسع بين طليعة تريد أن تبلغ الإسلام إلى الشعب من خلال منبر الحكم وبين شعب يريد أن يبلغ الإسلام إلى منبر الحكم من خلال طليعة .

إن الجبهة الإسلامية هي وليدة إرادة شعب وليس إرادة أشخاص .

»فهي ظهرت وليدة روح وإرهاصات تاريخية وليست حركة كونتها جماعة أرادت أن تكون حزباً، إنما هي مولود تاريخي«(2).

إن من حظوظ الحركة الإسلامية في الجزائر هو كونها تتعامل مع شعب يتميز بروح جادة يمكن أن نقارنها بحرارة الشعب الأفغاني ويكفي أن نشير بأن عدد ضحايا أكتوبر كانوا أكثر من عدد ضحايا بعض الشعوب في ثوراتها التحريرية.

إنه لا يمكننا مقارنة الجبهة الإسلامية ببعض الحركات في الـشـرق، ولاسـيـمـا في مصر، حـيـث تـعـرض الأسـتـاذ محمد قـطـب لـتـلـك التحالفات التي خاضها المسلمون مع بعض الأحزاب من أجل الوصول إلى البرلمان. فالجبهة الإسلامية بقوة أنصارها وولاء الشعب لا تزال متميزة بشعارها وأهدافها ووسائلها وهي بهذا غنية عن أي تحالف يكون على حساب أهدافها.

وهذا الكلام لا يعني التقليل من شأن الحركة الإسلامية في مصر التي نعتبرها هي الرائد في مطلع هذا القرن ، إنما أردنا أن نقول إن للشعوب حظوظاً ، وأن حظ الحركة الإسلامية في الجزائر كان في عزيمة الشعب وحماسته وإخلاصه لدينه.

إن فضيلة الأستاذ حينما يتعرض للمسلمين الذين يشتركون في الحكم بعد ما كانوا ينتقدونه ويقولون للناس : ((ومَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ)) صادق في كلامه ، مصيب في انتقاده - وموقف الجبهة الإسلامية في هذا الصدد واضح ليس فيه التباس ، فهي تستعمل المطالبة والمغالبة دون إفراط أو تفريط لقوله تعالى : ((ولَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ)) ، وقوله -عليه الصلاة والسلام- : »لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين

على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم« ، وتستعمل المطالبة لإقامة الحجة لقوله تعالى : ((ومَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً)) ـ وقوله تعالى: ((ومَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ)).
كما تستخدم المغالبة لضمان مصالح الأمة والمحافظة على ثوابتها وصيانة مكاسبها ؛ لقول عمر بن الخطاب : »متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً«.
إن مسألة تحكيم شرع الله أصبحت مطلباً شعبياً وليست مطلب الحركة الإسلامية فحسب وهذا ما يوافق قـول الأسـتـاذ محمد قطب في التغيير حينما قال : (إن المسلمين يصلون إلى الـحـكـم ممـكـنـين في الأرض حين تعي الجماهير جيداً أن »لا إله إلا الله« معناها : تحكيم شريعة الله (3) ، فالشعب الجزائري بوعيه الفطري لمقتضيات الشهادة عبر عن رغبته في تطبيق شرع الله ، وذلك من خلال الانتخابات التي كانت فيها الأغلبية الساحقة للجبهة الإسلامية.
فالجبهة الإسلامية كالحوتة بحرها الشعب (4) ، شعب واع متحمس لدينه وعقيدته .. ويـكـفـي أن نـشـيـر بـأن هـذا الـشـعـب في تجاوبه مع الجبهة أصبح مستعداً لمواجهة أشد التحديات.

الهوامش :

1- كتجربة السودان .
2- استجواب الشيخ عباسي مدني مع مجلة الهلال الدولى.
3 - موضوع لمحمد قطب في مجلة الوعي العدد 19.
4- تعبير الشيخ عباسي ، في حوار مع مجلة السلام ، انظر جريدة المنقذ العدد 20.

أمـــاه...

وليد بن إبراهيم

أماه أنت غريبة في موطني
هذا الرويبضة الحقير يذلك
هذا الرويبضة الحقير وغيره
زرعوا رغم أنوفنا
زرعوا على أشلائنا ودمائنا
يبنون كل رذيلة لا تحمد
أماه ثوبك طاهر منذ الشروق
أماه أعلم أنك لا ترتضين
أماه قد زرع الطغاة بأرضك
أماه هذا دورنا

نادى المؤذن..فتوضأت أيدي الرجال
يطؤون أرضك يسجدون
وقلوبهم نور على نور
هم فتية رفضوا الخنوع أو القيود
أماه هذي روحهم ودماؤهم
نار على قلب الطغاة الحاقدين
أماه يا أرض العقيدة والسلام
أماه يا أم الأباة
أماه قد هلك الطغاة
قراء الكتاب
رفع السلام بأرضك
كَثُرَ الدعاة
قام الرجال لعرضك
بكت النساء لأجلك
علم الشيوخ نام الصغار بحبك
أماه عودي بثوبك
أماه عاد بياضك
أماه لسنا غريبين في موطني

الفرار إلى الله

أمين فايز

أخـبـرني صـديـق أن شاباً اسمه خالد يسأل عني ، فكرت ملياً، من يكون خالد هذا؟ أهو ذاك الشاب السوري الذي قابلته في الجامعة منذ أكثر من ثلاث سنوات؟ نعم كان اسمه خالد ، ولكن ما أحببته قط ، كان لا يعرف ربه لا في صلاته ولا صيامه ، ولا أزال أذكره طويلاً، أشقر البشرة، تلمح في وجهه علامات الكبر، فخوراً بعضلاته المفتولة، مخلصاً في تقليد الأمريكيين.
مرت هذه الذكريات سريعة في خاطري وأنا أدلف إلى المنزل عندما فوجئت بذاك الشاب خالد ، ولكنه الذي عرفت ، ما هذه اللحية العظيمة، أين شعره الطويل ، و(الشورت الأمريكي)، لم أصدق ما أرى، قام إليَّ وعانقني عناق المحب الذي يبحث عني من سنين ، سألته عن أحواله ورغباته ، فبادرني بلهجة جازمة وقال: أريد أن أرحل عن هذا البلد ، قررت الذهاب لأفغانستان ، الحياة هنا بين الكفار لا تطاق.
فهمت ما حدث ، إنها الصحوة الإسلامية، لا تزال تجذب لها من هنا وهناك شباباً هداهم الله وأعادهم إلى الصراط المستقيم ، بعد ضياع أحمق ، ونوم عميق.

أما قصة التزامه بدينه الحنيف فهي غريبة عجيبة، لقد تعرف على شاب أمريكي مسلم، وراح هذا الأمريكي يحدثه عن الإسلام ويدعوه للرجوع إلى الله، وإذا بخالد ينتفض ويفيء من غفلته ويقول لنفسه: أأمريكي لم يمض على إسلامه سنوات قليلة يدعوني إلى التوبة، وقد كان الأحرى بي أن أدعوه للإسلام ، إنه قدر الله أن يكون هذا الأمريكي سبباً في هداية خالد، لقد نفض عن قلبه غبار الغفلة ، وبدأ حياة جديدة أراد فيها إرضاء الله ، لقد تغيرت حياته بشكل جذري وطلق زوجته اللاهية العابثة، التي بدأت تصفه بالجنون ، وأبدله الله خيراً منها ، وقرر أن يعيش حياة إسلامية في هذه المدينة (سانتياغو)، ولكن أنى له هذا في تلك البلاد، والفتن فيها كقطع الليل المظلم ، كيف يعيش هنا والمعاصي ترتكب أمام أعيننا، قال لي : ماذا أفعل يا بني عندما تكبر في هذا المجتمع ، لا بد أن أخرج إلى أفغانستان لقد سمعت عن فضائل الجهاد في سبيل الله وقررت الخروج لأرض الجهاد.
سبحان الله كيف تتغير الأيام وتتغير الأهداف إنه الفرار إلى الله.

السر الذي احتفظ به السلطان عبد الحميد

أبو البراء عبد العزيز بن محمد

مـا هـو الـسـر الـذي احتفـظ به السلطان عبد الحميد طوال حكمه (33) سنة، ولم يبح به لأحد؟
مـا هـو الـسـر الذي كان يؤمل عليه رجوع الدولة العثمانية دولة كبرى؟ ما هو السر الذي احـتـفـظ به وهيأ الظروف له حتى اتهمه الصديق بالضعف والعدو بالظلم والغدر؟ لنستمع إليه حيث يقول في مذكراته (17 مارس 1333):
(منذ أربعين عاماً وأنا أنتظر أن تشتبك الدول الكبرى مع بعضها البعض - روسيا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا - كان هذا كل أملي؛ كنت أرى أن سعادة الدولة العثمانية مرتبطة بهذا وجاء ذلك اليوم الذي كنت أنتظره ، ولكن... هيهات فقد ابعدوني عن العرش ، وابتعد الذين حكموا البلاد بعدي عن العقل والتبصر، والفرصة العظيمة التي ظللت أربعين عاماً في انتظارها ولت وأفلتت من يد الدولة العثمانية إلى الأبد.
جاهدت لكي لا يعزلوني عن العرش طوال ثلاثين عاماً ، وجهادي هذا كان من أجل هذه الفرصة. حبست الأسطول في الخليج ولم أخرجه ولو للتدريب ، وحبسي له كان من أجل هذه الفرصة. تجاهلت الحرب اليونانية لكي لا أدع للانجليز منفذاً للاستيلاء على كريت، وتجاهلي هذا كان من أجل هذه الفرصة ، بمعنى آخر : إن كل مجهودي قرابة ثلاثين عاماً ، بصوابه وبخطئه ، إنما كان من أجل هذه الفرصة.

وحفظت هذا السر في نفسي أربعين عاماً. وسأوضحه لأحفادي لكي يعرفون أني لم أفاتح فيه أحداً، حتى مع أكثر صدوري العظام ثقة، لأني تعلمت بالتجارب أن شيئاً يعرفه اثنان يخرج عن كونه سراً، ولذلك كان من ألزم الأمور ألا يعرف مقصدي هذا أحد، وألا تحس به الدول الأجنبية.
كان تقديري أن استخدام العثمانيين لفرصة كهذه في وقتها ، وبتبصر كفيل بأن ينقذهم ، فيعيدون لدولتهم مكانتها في مصاف الدول العظمى.
كان الواضح أن التنافس بين الدول الكبرى سيجرها أخيراً إلى التصارع والتصادم فيما بينها، وعلى هذا فإن الدولة العثمانية أمام تصارع وتصادم كهذا تصبح بعيدة عن أخطار التمزق والتقسيم ، ويوم التصادم سيوضح قيمتها بين الدول. هذا هو سر سياستي التي استمرت 33 عاماً).
رحم الله السلطان عبد الحميد الذي هُضم قدره من قبل مثقفينا ، والذي كان يفكر بقوة وإرادة أجداده سلاطين بني عثمان ، وقاتل الله أدعياء العلم والتحرر ، كيف جروا هذه الأمة إلى ويلات وإلى نكبات عظام لها أول وليس لها آخر، حتى أصبحت دولة عظيمة من دول الإسلام ، تمتد عبر قارات ثلاث ، أصبحت في مدى عشر سنوات حفنة من تراب.

الصفحة الأخيرة

هل هناك صحافة إسلامية؟

عبد القادر حامد

عـنـدمـا نـقـول : صـحافة إسلامية ، نعني : صحافة تعبر عن شمولية الإسلام ، وتعرض عقائده وأحكامه كما أنزلها الله وطلب من البشر اتباعها ، دون تحريف ، أو تعطيل ، أو تزوير، أو استغلال.
ووجـود صـحـافـة من هذا النوع ضرورة شرعية وإنسانية. ولكن المشاهد مما يسمى »صحافة إسـلامـيـة« بـعـيـد عـن تـنـاول الإسلام بهذا الشكل الشامل ، بل هناك موضوعات هي من بـدهـيـات الإسـلام وأسـاسياته محظور على هذه الصحافة أن تتعرض لها أو أن تضعها في اهـتـمـامـاتـها، وإذا تعرضت لها فبأسلوب فيه المدارة والتورية والرمزية ما يجعله معدوم الأثر، قليل الفائدة.
نـضـرب على سـبـيـل المثال موضوعات مثل التشريع، ومناهج التربية والتعليم وصلة ذلك بـعـقـيـدة الأمـة، وكـذلك الجهاد وتحديد مفهومه شرعاً، ومسائل مهمة، مـثـل: الـولاء والـبـراء، ومن هو العدو والصديق في نظر المسلم، ووضع النقاط على الحروف في مثل هذه القضايا، وتوضيحها بدون لبس أو إجمال موهم أو مخل.

إن ما هو موجود من »صحافة إسلامية« غالباً ما يشتغل بقضايا فرعية ونظرية يقتلها بحثاً، بينما يمر على القضايا الرئيسية مر الكرام ، أو يتحرج من البحث فيها، أو لا يمكنه ذلك لما هو مبثوث في طريقه من الحواجز والموانع.
إن البديل عن الحرية في تناول مثل هذه القضايا المصيرية هو الكبت الذي يسبب الفوضى، ويشل الأفراد والجماعات عن إنجاز أي شيء نافع ، ويعيق أي توجه للخروج من جو السلبيات والعراقيل والمشاكل التي تعصف بالمسلم في هذا العصر، وتجعله عرضة للمهانة والإذلال الذي أصبح وصمة لازمة له..

تمت بعون الله ، والحمد لله
